حكايات الأشباح (٣)
اعترافات ساحر

علا بركات

حكايات الأشباح (٣) / اعترافات ساحر
علا بركات
الطبعة الأولى ، ٢٠١١

دار اكتب للنشر والتوزيع
القاهرة ، ١٠ش عبد الهادي الطحان ، المرج
موبايل : ٠١١٠٦٢٢١٠٣
E – mail : dar_oktob@gawab.com
المدير العام :
يحيى هاشم
تدقيق لغوي :
ضحي صلاح
رقم الإيداع : ٢٠١١/٢٢١١
I.S.B.N:٩٧٨- ٩٧٧- ٤٨٨- ١٢٠- ٤

حكايات الأشباح (٣)

اعترافات ساحر

علا بركات

قصص

الطبعة الأولى

٢٠١١



دار اكتب للنشر والتوزيع



المنزل !!



أخذها من يدها، بعد منتصف الليل،وهي ترتجف في الظلام، وصعد قبلها السلم،ذو الرائحة الكريهة، وهو يقول:لا تخافي أنه مجرد منزل مهجور.. سنقضي وقتًا ممتعًا معًا، وسأدفع لكِ كل ما تطلبين.

ردت،وصوتها محبوس،من الخوف:أنت أغرب شخص قابلته حتى الآن،أليس لك منزل طبيعي تذهب إليه؟

قال ضاحكًا: ما قيمة الحياة دون بعض المغامرة ؟!

قالت: لكن الرائحة...

قاطعها قائلًا:مالنا والرائحة!أعتقد أننا لو بحثنا جيدًا في المكان؛ ربما سنجد أحد الكنوز المنسية.

قالت: و هل تريد كنزًا أكثر مما بين يديك الآن؟!

وضحكت ضحكة يملؤها الخوف.

وقفا أمام باب الشقة الوحيدة في الدور الثاني، و أشعل عودًا من الثقاب، وهو ينظر إليها، ثم إلى الباب، الذي مد يده ليفتحه، فوجده مفتوحًا!

ضغطت علي يده بقوة، وهو يجذبها معه إلى الداخل ليغيبا في الظلام .

منزل غريب، يتكون من دورين، الأول: عبارة عن محلات فاخرة، تُعرض فيها بضائع غالية الثمن، والدور الثاني: ليس به

سوي باب لشقة وحيدة،مظلمة علي الدوام،لا أحد يسكنها،مفتوحة النوافذ دائمًا، لا احد يدخلها،ولا حتى الطيور الصباحية، أو الليلية.

في النهار يكون المكان نشطًا جدًا، وحركة البيع، والشراء تكاد لا تتوقف؛ فالمحلات في أكبر الشوارع التجارية بالمدينة.. لكن في الليل، بعد إغلاق المحلات أبوابها، يختلف الوضع كثيرًا، حيث يسود هدوء الموت المنطقة، أو ربما يسود الهدوء المنزل ذاته فقط.

كان يهرب من مطاردة الشرطة له، بعد أن أمسكه البعض في السوق القريب،وهو يسرق من إحدى الحقائب، لم يجد سوي مدخل المنزل المظلم،ليصعد السلم بسرعة كبيرة،وهناك،عند الباب الذي وجده مفتوحًا،أسرع للداخل،بعد أن شعر بأن المكان خالي،نتيجة الظلام الدامس،والرائحة الكريهة.

بعد دقائق، كان هناك من يصعد السلم خلفه، ليجد الباب مغلقًا، بقفل حديدي صدئ، يدل

علي أن الباب لم يفتح، من عشرات السنين .

- الكل مشغول في حاله.

هكذا قال منصور لنفسه، وهو ينظر للمحلات التي أمامه.. كان يجلس علي أحد الكراسي العامة، المقابلة للمنزل.. دارت

في رأسه أفكارٌ كثيرةٌ جدًا،وهو ينظر للشارع المزدحم أمامه،بينما الديون تتراكم عليه، حتى لم يعد قادرًا على دفع مصاريف الجامعة، بالإضافة إلى حبيبته التي تمت خطبتها لشاب ثري، يملك سيارة غالية،الله وحده يعلم من أين جاء بثمنها،فالعمل الموسمي الذي يعمل به، في الإجازة الصيفية، لا يعود عليه بالكثير من المال،ووالده الذي اختفى من الصورة - منذ زمن بعيد- يكتفي بإرسال بعض المال، كل فترة طويلة لوالدته؛ لتساعدها على المصاريف.

لم يعد يذكر عنه الكثير، ولا يريد أن يذكره حتى، لا يضيف لمشاكله مشكلة أب، مسافر منذ سنوات طويلة، لا يعلم عنه شيئًا.

استسلم منصور لفكرة اليأس من حياته، والتي تلح عليه منذ فترة طويلة، وتحديدًا منذ علم بنبأ خطبة حبيبته، التي تعاهدا على الارتباط، منذ عدة سنوات،لكنها لم تستطع مقاومة ضغط أسرتها الشديد؛من أجل الشاب العائد من بلاد أوروبية،ومعه جنسيتها، التي ربما قد حصل عليها بزواجه،من إحدى المومسات هناك..

حاول هو أيضا السفر للخارج.. فكر كثيرًا في الاتصال بوالده، لكنه لم يكن يعرف له عنوانًا، ولا حتى دولة محددة يعيش فيها، مجرد رقمٍ حساب يذهب إليه، كل فترة ليتحقق إذا كان قد أرسل له شيئًا، يعينه على الحياة.

لماذا لا تسير الدنيا كما نخطط لها؟! يتخرج من الجامعة ثم يلتحق بوظيفة محترمة،تليق بطريقة تفكيره المنظمة العملية،ويكسب منها المال اللازم؛ لخطبة حبيبته، التي كانت النظرة إلى عينيها تعوضه عن كل مشاكل حياته، حتى غياب الأب، و اكتئاب الأم.

هل الاكتئاب مرض وراثي كما سمع؟ أم إنه معدي؟ إنه في طريقه للإصابة به الآن.. يعلم ذلك جيدًا، فقد عاش الاكتئاب كمرض مع والدته، التي ما أن يزورها؛ حتى تختفي الحياة نفسها من المترل.كانت تقول له أنها تشعر بظلام دامس،يغزو قلبها، ثم يصيبها القلق المرضي، الذي يحرمها من النوم، ثم تصبح عصبية للغاية، ثم تصل إلى حد رفض الخروج من الفراش، إلا للضرورة القصوى.. ومع الأدوية المضادة للاكتئاب كانت حالتها الصحية تسوء كثيًرا؛ لأنها كانت تنام -أحيانًا- طوال اليوم، ويضطر هو لخدمة نفسه وخدمتها.

لماذا وافقت علي الزواج من والده المسافر طوال الوقت؟! ولماذا ارتضت أن تظل زوجة له حتى بعد أن هجرها طوال السنين الماضية؟!

وهل سيكون هذا نفس مصير حبيبته بعد عدة سنوات؟ حينما يقرر خطيبها هجرها لصالح إحدى الأجنبيات ؟

وقعت عيناه على الشقة الموجودة أعلى المحلات.. كانت مظلمة تماما، مفتوحة النوافذ، هادئة هدوء الموت، لكنها كانت تبدو فاخرة، بسقفها العالي، وشبابيكها القديمة.

ترى هل يمكنه السكن في تلك الشقة ذات يوم مع حبيبته؟ هل مازالت تفكر فيه؟ أم أن خطيبها قد أنساها بسيارته كل ما سبق من حياتها؟

ترى هل تلك الشقة صالحة للسكن؟! ولماذا هي مهجورة؟! ربما صاحبها شاب ثري، مسافر للخارج أيضًا وينتظر العودة ليشتري بماله وجنسيته الأجنبية حبيبة شخص آخر مثله؟ إلا يسأل أي شخص قبل الأقدام على الخطوبة نفسه إذا كانت الفتاة التي تقدم لخطبتها قد أحبت من قبل أم لا؟

اعتاد منصور الحضور إلى ذلك المكان عدة مرات أسبوعيًا،ليجلس على الكرسي ويشاهد ما حوله باستسلام.

في ذلك اليوم..كانت حالته النفسية أسوأ كثيرًا من كل مرة.. إنه يوم زفاف حبيبته. فكر أن يذهب إلى الفرح؛ ليراها للمرة الأخيرة.. يراها في ثوب الزفاف، الذي كأن يمني نفسه بأن يكون له وحده، لكنه تراجع، في اللحظة الأخيرة.. خاف من أن يلازمه الحزن أكثر من هذا، إذا رأى سعادتها.. كأنه لا يزال يشفق عليها،ويريد أن يصدق أنها ضحية الظروف،وضغط

والديها، للزواج بالشاب اللقطة، الثري، ذو السيارة و الشقة، والمال الوفير مهما كانت طريقه كسبه للمال. خشي إذا ذهب إلى هناك أن يراها سعيدة، تضحك بفستانها الأبيض، فتتهدم آخر صورة جميلة في حياته.. ربما الأفضل أن يعتقد أنها ضحية؛ لمجرد أن تظل ذكرياته معها الملجأ الأخير له، عندما تضيق به الدنيا.

تنهد بحرقة، وهو ينظر للشقة المهجورة التي أمامه، وخُيل إليه للحظة أن هناك حركة خافتة بها.. ركز نظره على أحد النوافذ المفتوحة، فخيل له أن هناك شخص ما يراقبه؛ لكن الظلام الدامس، جعله غير متأكد تمامًا من ذلك.

لا يدري من أين جاءته تلك الشجاعة ليذهب إلى هناك ؟! ربما أراد أن يدخل في مغامرة؛ فقط ليبعد تفكيره عما حدث،وسيحدث في تلك الليلة.. حبيبته قد وهبت نفسها لرجل غيره..سيكون لها زوجًا،وستكون له الأم والحبيبة،والزوجة، والصديقة..أم ربما ستظل تحبه وحده، وتكون لزوجها زوجة فقط؟! وما الفارق؟! فالنتيجة واحدة.. فقدها إلى الأبد.

كانت المحلات قد أغلقت أبوابها،وازداد ظلام المكان،فدخل من الباب إلى السلم المظلم، وفتح البطارية في جواله.. كان الضوء ينير سُلمة واحدة فقط أمامه، ويغرق باقي السُلم في الظلام.

لا يدري من أين جاءته تلك الشجاعة ليذهب إلي هناك ؟!
ربما، أراد أن يدخل في مغامرة؛ فقط ليبعد تفكيره عما حدث،وسيحدث في تلك الليلة.. حبيبته قد وهبت نفسها لرجل غيره.. سيكون لها زوجًا، وستكون له الأم والحبيبة،والزوجة، والصديقة.. أم ربما ستظل تحبه وحده، وتكون لزوجها زوجة فقط؟! وما الفارق؟! فالنتيجة واحدة.. فقدها إلي الأبد.

كانت المحلات قد أغلقت أبوابها، و ازداد ظلام المكان،فدخل من الباب إلي السلم المظلم، وفتح البطارية في جواله.. كان الضوء ينير سُلمة واحدة فقط أمامه، ويغرق باقي السُلم في الظلام.

عند باب الشقة الوحيدة وقف يلتقط أنفاسه، وهو لا يفكر في أي شيء، سوي إمضاء بعض الوقت داخلها، والنظر إلي الشارع، وربما البحث عمن كان ينظر، أو تنظر إليه من دقائق.

مد يده إلي الباب فوجده مفتوحا! دفعه قليلًا ليدخل،ويبتلعه الظلام...

خطوة واحدة فقط أخذها للداخل، لكنها كانت كفيلة بشل حركته تماما.. في نفس اللحظة التي دخل فيها إلي الشقة سمع صوت الباب يُغلق بهدوء، وكأن هناك من لا يريد

إزعاجه.. انتفض وهو يوجه الضوء إلي الباب؛ عله يري من يغلقه، لكنه لم يري سوي الباب فقط!

مد يده إلي الحائط المجاور للباب؛ عله يجد زر الإضاءة، لكن يده وقعت علي يد ناعمة دافئة.. تراجع بسرعة عن الحائط فاصطدمت يده بزر الكهرباء، فأضاء المكان مصباح خافت،صغير، علي أحد الجوانب.. نظر حوله في ذعر، لكنه لم يجد أحد في المكان!

أخذ يُهدئ من روعه، وهو ينظر إلي الغرفة.. كانت مستطيلة الشكل، فارغة تماما، إلا من كرسي واحد، يبدو فخمًا في الركن المقابل للباب، وإلي جواره منضدة صغيرة،عليها بعض الأطباق، و منفضة سجائر، بها سيجار مشتعلة.

داهمته الفكرة فورًا.. أنه قد دخل منزلًا بطريق غير مناسب،ويمكن لسكان هذا المنزل أن يتسببوا في حبسه،استدار علي عاقبيه ليخرج من الباب، لكنه فوجئ به مغلقًا! حاول فتحه لكنه لم يفلح...

سمع صوتًا، خشنًا، يسعل من ورائه، فأنتفض علي الفور،ونظر إليه، ليجد كهلًا يجلس علي الكرسي، ويمسك بما تبقي من السيجارة.. من أين جاء؟!

نظر إليه وابتلع ريقه بخوف، وهو يقول: اعتذر، لم أكن أعرف أن هناك أحدًا في المكان.. لقد...

قاطعه الشخص قائلًا: لا عليك، لقد تعودت علي ذلك.

قال منصور: علي ماذا ؟!

الكهل: التعدي علي خصوصيتي.

منصور : أنا.. لقد كنت أجلس أمام المترل وتخيلت أنني رأيت شخصا ما يراقبني .. أنا .. حقيقة لا أعرف لماذا فعلت ذلك؟!

الكهل: ليست هذه مشكلتك الآن.

منصور بخوف: مشكلتي؟! أنا آسف، أنا علي استعداد لفعل أي شيء لتعويضك عما بدر مني.

الكهل: نعم.. نعم.. تعودت علي هذا أيضًا.. سوف تفعل كل ما أمرك به، دون نقاش و إلا...

صمت الكهل، وتصبب منصور عرقًا، وهو يفكر في ما أوصله إليه عقله، و اكتئابه.

منصور: و إلا ماذا؟

الكهل: فلنترك هذا لوقته، يا منصور.

ارتعد منصور عندما سمع اسمه: هل تعرفني؟!

الكهل: أعرف كل من يْدخل إلي مترلي طوّاعية، لأي غرض.

منصور: هل تعني أن هناك كثيرون فعلوا هذا؟!

الكهل: أكثر مما قد تتوقع.. كلهم جاءوا لي بإرادهم.

منصور: ماذا حدث لهم؟

ابتسم الكهل بغرور،وقال: فلنقل أن الحال قد أعجبهم هنا و لم يغادروا.. أبدًا.

نظر منصور إلي الجوال في يده، حاول أن يتصل برقم أحد أصحابه؛ ليحكي له عن الموقف، لكنه فوجئ بالجوال ميتًا.

نظر له الكهل وقال: لا شيء من هذا يعمل هنا.. الطاقة هنا سلبية للغاية، تفسد كل الأجهزة.

ثم أنطلق ضاحكا بصوت أجش وهو يأخذ آخر نفس من سيجارته بين أصابع معروقة تبدو في تلك الإضاءة وكأهما أصابع هيكل عظمي، ميت منذ عدة سنوات.

منصور: ماذا تريد مني الآن؟

أخذ منصور يفرغ كل ما في جوفه،وهو يرتجف بشدة.. نظر إلى الكهل،وحاول التحدث معه، لكنه لم يجد صوتًا يصدر منه، بل وجد دموعه تنساب بغزارة، وهو يفكر في الورطة التي وقع فيها.

حاول تهدئه نفسه قليلا ثم قال:من أنت؟ من هؤلاء ؟ كيف قتلتهم جميعا وأنت عجوز؟ ولماذا قتلتهم؟ وكيف لم يكتشف أحد سرك حتى الآن؟

رد الكهل بهدوء:أنا من تراه الآن أمامك.. أسوء كوابيسك أنا..أكثر الأمور رعبًا أنا.. عقابك في الدنيا أنا.. وهؤلاء جميعا مثلك.. دخلوا إلى شقتي دون إذني فحق عليهم العقاب، و لم يستطع أحد منهم أن يقاوم مصيره المحتوم؛لأنهم جميعا مجرمون.. داخل نفس كل واحد منهم ما يكفي من الشر ليقتل نفسه بنفسه، أنا لم أقتل أحد منهم بل هم فعلوه بأنفسهم .. ولن يكتشف أحد سري؛ ببساطة لأن الناس لا تري سوي ما تريد فقط.. كل واحد لا يرى سوي نفسه.. أنانية مفرطة تعيشون فيها.. حتى عميت قلوبكم قبل أعينكم، والآن.. قبل أن نكمل حديثنا.. اذهب ونظف الحجرة ...

حاول منصور أن يتحرك في أي اتجاه،لكنه لم يستطع زحزحة قدميه، ولا خطوة واحدة.. نظر إلى الكهل برجاء أن يرحمه مما يريد، لكنه رأي نظراته متبلدة،وقد اشتعلت السيجارة من جديد في يده.

أشار له الكهل بيده الأخرى أن يدخل إلى الحجرة.

عندما دخل منصور إلى الحجرة كان أول رد فعل له أن يتجه مباشرة إلي النافذة الكبيرة الموجودة في الطرف الآخر من الحجرة، ليصرخ طالبا المساعدة من أي شخص، متخطيًا الجثث، واحدة تلو الأخرى..اندفع إلي النافذة غير مبالي بقدمه التي داس بها عددًا من الأذرع والأرجل..عندما وصل إلى النافذة وجدها تطل علي لا شيء..نعم لا شيء علي الإطلاق.. وكأنها مرسومة علي الحائط.. أو كأنها ديكور ورقي في إحدى المسرحيات...

أخرج منصور يده إلى الفراغ خارج النافذة،لكن يده اصطدمت بشيء صلب بعنف، و ارتدت مدرجة بالدماء.

كاد منصور أن يفقد عقله.. كيف يمكن أن تكون النافذة لا تطل علي الشارع، وهو يراها كل ليلة تقريبًا من الكرسي المقابل؟! سمع منصور صوت الكهل من خلفه يقول: لا تتعب نفسك، من يدخل هنا بإرادته، لا يخرج إلا بإرادتي أنا.. ارتعد منصور،و التفت ليرى الكهل، فلم يجد سوى الجثث ملقاة علي الأرض .. عاد منصور إلى باب الحجرة،ليجد الفأس كما قال له الكهل..أخذها،وهو يعصر ذهنه لعله يكتشف أنه نائمًا،ويصحو من ذلك الكابوس المزعج.

سمع صوت الكهل يقول:لا،أنت لست نائمًا، و لن تصحو لتجد نفسك في فراشك.. افعل ما أريد ثم نتفاهم.

كيف هذا؟! هل يقرأ أفكاره أيضًا؟!

أخذ منصور الفأس وحاول أن يفكر في أي خواطر بعيدة عن تلك الخاطرة التي اقتحمت عقله بعنف..قتل الكهل،والفرار..حاول التفكير في والدته..في حبيبته التي لا تشعر به الآن..في والده الذي لا يذكر متى كانت آخر مرة شاهده فيها..في الجامعة التي يريد أن ينتهي من سنواتها بسرعة، ليبحث عن فرصة سفر للخارج، ولو بالزواج من أي سيده حتى لو كانت أكبر من والدته..لكن كانت الفكرة تعاود الظهور في عقله دائما..

ثم خطر له خاطر أسوء من الأول..أنه يعرف الآن سر ذلك الكهل القاتل، فهل سيتركه يخرج من هنا حيا ليخاطر بكشف ذلك السر الرهيب؟!

هل سيتركه يغادر الشقة ليكون أول شيء يفعله أن يبلغ الشرطة عن حوادث القتل الفظيعة تلك؟!

ماذا لو أطاعه، وتخلص من تلك الجثث بالدفن في الرمال التي لا يعرف مصدرها ولا كيف تملئ الحجرة بهذه الطريقة.. ماذا لو فعل كل ما يريد؟هل سيتركه؟أم سيقتله هو أيضًا،ويترك جثته تتحلل حتى يأتي شخص آخر ويدفنه إلى جوارهم؟ عادت فكرة قتل العجوز إلى ذهنه مرة أخرى، وقدمه تغوص في رمال الغرفة بصورة مزعجة،وقبل أن تمتد يده بالفأس

إلى الأرض.. انهارت مقاومته و أسرع للخارج، ليجد الكهل يجلس بنفس الطريقة مشعلًا سيجارته منتظرا إياه..

نظر إليه الكهل وهو يحمل الفأس ويقترب منه.. لم يبد عليه الانزعاج، وهو يقرأ في عينيه رغبته في قتله، والفرار من المكان.. قال له:هل تستطيع حقا؟ أنت المسالم الذي تركت حبيبتك تتزوج من غيرك؟! تركت والدتك تتسول من والدك المال لمصاريفك.. تركت والدك يهرب من مسئولية تربيتك لمجرد إرسال بعض المال الذي لا يكفيك؟ هل تستطيع فعلا تغيير مصيرك؟

لم يرد منصور عليه.. بل لم يفكر أصلا في الرد بل اقترب أكثر و أكثر رافعًا الفأس إلى أعلي.

قال الكهل: هل قتلي سيحل لك المشكلة؟ أليس الأفضل أن تتخلص من الجثث التي لم تقتلها أنت ثم تتفاوض معي في الفرار؟

كان منصور قد اقترب من الكهل بمسافة تكفي ليهوي بالفأس علي رأسه،وفي لحظة واحدة فعلها..لم يكن يدري ساعتها هل كان يقتل والده الهارب منه، أم ذلك الرجل الذي سرق منه حبيبته، أم إحباطه من الحياة كلها.

لم يبد الكهل أي مقاومه علي الإطلاق، بل نظر إلى بعيني منصور بامتنان، والدماء تترف من رأسه بغزارة،تراجع منصور

بسرعة إلى الخلف،بعد أن شاهد الدماء..ووقف ينظر إلى الكهل ليري رد فعله...

ابتسم الكهل، وقال بصوت واهن: أشكرك، لقد خلصتني من اللعنة التي حلت علي من سنوات طويلة.. بقتلك لي حلت عليك نفس اللعنة التي حملتها فوق سنوات عمري كلها، لقد تحولت إلى قاتل مثلي.. ستظل باقي عمرك تنتظر ضحاياك هنا،علي هذا الكرسي، حتى يدخلوا إليك بإرادتهم، ولن يخرج أحد حيًّا.. إنها لعنتي التي حملتها بعد أن دخلت إلى هنا على سبيل الخطأ ذات يوم، وتورطت في قتل صاحبها.. والتي حملها بنفس الطريقة، أنها لعنة أبدية، تتوارث من قاتل لآخر.. كنت أبحث فيمن سبقوك عمن يخلصني منها لكن أرواحهم الآثمة لم تكن تحتمل المزيد من اللعنات، فتراجعوا جميعا ونفذوا أوامري،وقتلوا أنفسهم في النهاية، لكن أنت.. أنت الوحيد الذي قاوم، وقرر قتلي.. تحمل ما جنته يداك، و عش حياتك القادمة تعيسًا مثلما عشت حياتي السابقة.

بهت منصور مما سمع.. ألقي الفأس على الأرض، وأسرع ناحية الباب ليهرب.. حاول فتحه فلم يفلح.. فتح النافذة الصغيرة في الباب.. صرخ منصور.. حينما وجد الباب مغلقًا من الخارج بقفل كبير صدئ كأنه لم يفتح منذ سنوات طويلة.

اعترافات ساحر

في بداية حلقه البرنامج التليفزيوني الشهير، والذي يُذاع علي إحدى المحطات الفضائية الدينية الشهيرة، قدمه المذيع قائلًا: أنه واحد من أشهر سحرة العالم العربي، والذي قرر أن يفضح كل ما يعرف عن عالم السحر، والشرك- والعياذ بالله. قرر ذلك بعد أن أعلن توبته عن كل ما كان يفعل من شرك، ومعصية.

ثم أعطى له الميكروفون، وتركه يتحدث دون أدنى تدخل من المذيع...

أخذ نفسًا عميقًا، ثم قال: قررت أن أتوب في النهاية.. لأني عرفت أن ما أفعله هو شرك بالله.. لهذا قررت أن أفضح نفسي، وشركائي من الإنس والجن هنا..علي الملأ.. ليعرف الجميع أن السحر، والسحرة كاذبين..مهما شاهدوا بأعينهم من معجزات، وكرامات.

أنا ساحر عراف.. هذه هي المهنة الوحيدة التي عرفتها طوال حياتي، كانت مهنة والدي، وكان ذائع الصيت فيها.. حتى كان الناس يأتون إليه من دول أخرى، ليتم علي يديه ما يريدون.. ممثلون، و رجال أعمال، و رؤساء، و وزراء، كل الفئات.. حتى أصبح دخله بالملايين .

أخذ العهد من والده، من جده، من كافة أفراد عائلته - فعائلات الجن تأخذ العهد علي عائلات الإنس وتستمر معها جيلا بعد جيل يتوارثون التعاون المشترك بينهم- حتى يشذ فرد

ما من إحدى العائلتين -مثلما حدث معي- وهنا لابد من عقابه علي عدم حفظ العهد. أعرف تمامًا أن ذلك سيحدث معي.. و أن عقابي في ذاتي سيكون رهيبًا، مؤلمًا، وفي النهاية مميتًا.. لكني أطمع في النهاية فيها مغفرة ربي.. بعد كل تلك المعاصي التي ارتكبتها..أتمني بتعرضي لهذا العقاب الإلهي أن يغفر لي الله ويدخلني جنته...

لماذا قررت أن أتوب؟ شاهدت بعيني ما حدث.. مات والدي فجأة.. ذهبنا في الصباح لنوقظه.. عندما تأخر في النوم.. لم نجده فوق الفراش، وجدناه أسفل الفراش، مقلوبًا علي بطنه، ووجهه ملقي في التراب ، وحينما حضرناه للدفن.. كان ثقيلًا إلى حد أن أربعة رجال كانوا يحركونه بصعوبة بالغة.. بالإضافة للرائحة النتنة التي انطلقت في الحجرة ساعتها و لم ندري مصدرها أبدًا.

كانت أول مرة أقوم بتحضير ميت للدفن.. لو لم أرَ ما حدث بعيوني لما صدقت أن ذلك يحدث فعلا.

كنا كلما أرقنا عليه الماء.. تناثرت منه ديدان رفيعة سوداء يقشعر منها البدن.. من أين أتت؟! وهو لم يمت إلا منذ فترة بسيطة جدًا! ..ربما عدة ساعات لا تتعدي ثمانِ ساعات.. كان وجهه أزرق اللون علي الرُغم من بياضه الشاهق وهو علي قيد الحياة.

جهزناه علي إيه حال.. حينما فشلت جهودنا في إزالة هذه الديدان، والتي يبدو أنها تتكاثر بسرعة رهيبة حتى خفنا أن تملئ المكان، فلا نستطيع إزالتها ثانية.

ذهبنا به لمكان الدفن، مقبرة الأسرة.. كان ثقيلا حتى أننا بالكاد حركناه.. كأنه لا يريد أن يتحرك من مكانه وحينما فتح التربي المقبرة.. تحرك للخلف بفزع شديد وهو يصرخ من المفاجأة..ذهبت لأعرف ماذا حدث،نظرت داخل المقبرة،رأيت ما أرعبني.. ثعبان شديد الضخامة كان يرقد داخل المقبرة.. يكاد يغطي كل شبر فيها ينتظر في هدوء..وحينما شاهدنا بدأ في التحرك نحونا.. كأنه يريد التهامنا.. تحرك التربي بسرعة لإغلاق المقبرة.

جلسنا بعيدًا عن المقبرة لنفكر في الأمر..تشاورنا أنا،وأخي، وقررنا أن نضعه في مقبرة أخري ملك للأسرة أيضًا،وحينما فتحها التربي وجدناه فيها نفس الثعبان،ملفوفًا حول نفسه، منتظرًا في حالة ترقب..أخذ التربي يقرأ بعض آيات القرآن الكريم بصوت مرتفع، ثم قام بإغلاق المقبرة،وقررنا أن نضع والدي في المقبرة الثالثة والأخيرة التي تملكها الأسرة،سواء كان فيها الثعبان أم لا، فمن الواضح أن هذا الثعبان هو قدره في النهاية.

فتح التربي المقبرة، وهو يقرأ المعوذتين وفي هذه المرة لم يجد شيئًا..حمدنا الله بصوت عالٍ ثم وضعنا والدي، وبمجرد أن لمس جسده تراب المقبرة اشتعلت النيران في المقبرة بصورة جنونية عجزنا عن فهمها، كأنها آبار بترول مشتعلة لا يمكن إطفائها.. تراجعنا بسرعة شديدة إلى الخلف دون حتى أن نغلق المقبرة، ثم حاولنا في الأيام الثلاثة التالية للدفن أن نطفئ تلك النيران بكل الطرق دونما فائدة..حاولنا بالماء،والتراب،والرمال وطفايات الحرائق، و لم نفلح.. حتى اقترح أخي أن نغلق المقبرة كما هي بكمية كبيرة من الأسمنت المخلوط، وفعلًا جئنا بخلاط أسمنت وجعلناه يغلق فوهة المقبرة بكمية كبيرة من الأسمنت المخلوط، كأنها صبة خرسانة، و هكذا أغلقنا على والدي بصورة ليست آدمية.

عندها.. جلست مع نفسي أفكر.. ما الذي نفعله؟!وأي طريق نسير فيه؟! إلى النار وجهنم!.. إلى أن نكون عبرة لكل الناس؟!

قررت بعد ذلك إن أتوب.. توبة نهائية عن كل الكفر والإلحاد الذي مارسته في حياتي، عسي الله عز وجل يغفر لي.

كنت صغير السن عندما تفتح عقلي علي الطقوس الغريبة التي أري والدي يقوم بها، والحجرة المظلمة التي لا يسمح لأحد أن يدخلها غيره..كميات البخور، وطقوس الزار الغريبة التي

تنتهك فيها حرمات النساء كجزء من هذه الطقوس.. كان والدي يقول لي أنه سوف يضع بين يدي قوة لانهائية إذا أطعته دون سؤال أو مقاومة،كان يعدني بثروة تفوق الخيال، نفوذ طاغي لا ينقطع.. سلطه تعلو كل السلطات التي يعرفها البشر.. كان يعدني لأخلفه في كل هذا .

كانت حياته غير طبيعية غير كل الرجال،بل كان دائم الخلوة في تلك الحجرة أحيانًا لمدد كبيرة تصل إلى الأربعين يومًا دون أن يجرؤ أحد علي الدخول إليه.

كان يأخذ معه كل ما يلزمه طوال هذه الأيام ثم يدخل إليها في صمت تام لا يتحدث مع أحد أبدًا ولا يخرج منها إلا بعد مدة يعرفها جيدًا، يخرج منهكًا متعبًا كأنه عائد من الحرب، لم أكن أفهم شيئًا من كل هذا.

حتى جاء الوقت..وقرر أن يدخلني إلى عالمه الخاص المرعب.. ويجعلني أقابل من هم وراء كل هذا...

دخلت معه ذات ليلة ظلماء بدون قمر إلى الحجرة المحرمة المظلمة تمامًا.. كانت رائحتها كريهة لا تطاق كأنها مراحيض نتنة.. أمرني أن أخلع حذائي قبل الدخول، و في الظلام الحالك أجلسني علي الأرض فوق التراب.. ورغم تأكدي التام أن الحجرة خالية إلا منا نحن فقط إلا أنني شعرت بعد فترة بسيطة بشيء ما يتحسس أجزاء جسدي،أيادي خشنة ذات مخالب

كانت تتحسسني بعنف، وأحسست بأنفاس ساخنة تقترب من وجهي عدة مرات، ارتجف قلبي بشدة حتى كدت اسمع دقاته أعلى من الكلمات الغريبة التي كان والدي يرددها بصوت مرتفع قليلًا، وهو يمسك بيدي بقوة حتى لا أقوم بأي رد فعل مفاجئ يمكن أن يتسبب لنا بالأذى.

بعد عدة ساعات قضيناها - أو هكذا بدت لي- أخرجني والدي بسرعة، ودخل هو مرة أخرى، وأغلق عليه الباب فترة طويلة قبل أن يخرج سعيدًا، ويحتضني ويهنئني على أنهم قد قبلوني كحامل للعهد من بعده .

أخذني من يدي وأجلسني و أخذ يشرح لي أن عائلة من عائلات الجن منذ قديم الزمن قد تعاونت مع عائلته جيلًا بعد جيل،وأنها تعيش معنا في نفس المترل، في الحجرة التي حرم علينا دخولها،و أنه في مقابل الكميات الهائلة من الطعام،والشراب، والبخور، التي يوفرها والدي لتلك العائلة فأنها تمنحه قوة تفوق الخيال، تمكنه من فعل أي شي، في أي وقت يريد..فقط لخداع باقي البشر.

وهذه العائلة من الجن ليست عائلة عادية بل هي من أقوى قبائل الجن الذين يعرفون أشياء تفوق علم البشر،كما أن كثرة عددهم كانت تسمح لوالدي بالتجسس على أي عدد من الأشخاص في أي وقت من ليل أو نهار.

كان هناك من يتصل بوالدي طالبًا موعد بالتليفون، وكان هذا التليفون يسمح له بإرسال أحد الجان إلى الشخص الذي يطلب المقابلة فيعيش معه عدة أيام حتى يعرف عنه كل شيء،ثم يعود بالخبر إلى والدي فيعرف عنه كل شيء، وكان بعض الناس يأتون إليه من كل بلدان العالم، فيندس الجن بينهم ليعرف من خلال كلامهم كل شيء عنهم ثم يدخل إلى والدي ويبلغه أن الذي سيدخل عندك الآن فلان ابن فلان ابن فلانة، وهو يريد منك كذا.. فيدخل الشخص المقصود، وقبل أن يتحدث يخبره والدي بكل ما قاله الجن عنه فينبهر الشخص، و يكون مستعدا لفعل أي شيء لينال رضي والدي، الذي كان يستغل كل شخص يحضر إليه في المصالح الدنيوية، حتى وصل نفوذه أن كانت كلمته لا ترد عند مجموعة كبيرة من أصحاب المال،والأعمال، والمناصب.

وكان والدي يبالغ أحيانًا في إظهار معجزاته أمام الناس في مناسبات مختلفة، فأحيانًا كان يخلع الجزء العلوي من ملابسه،ويقوم أحد الجن الخفي -الذي لا يراه سوي والدي وأنا- باحتضان والدي.. الذي يقوم بطعن نفسه - أو هكذا يبدو للناظرين- بسكين كبيرة تدخل إلى بطنه كاملة.. لا يظهر منها سوي المقبض دون أن يريق نقطة دماء واحدة، فينبهر الحاضرون ويتأكدون من أنه "واصل"،وإنه صاحب كرامات،ومعجزات،وكان أحيانًا يأكل الزجاج أمام الناس،أو

يقفز من مناطق عالية لا يستطيع أي شخص أن يقفز منها أبدًا،فكان كل شيء خارق يفعله والدي يبهر الناس فيظنون انه إنسان ذو حظوة، خاصة أنه كان يداوم علي صلاة الجماعة في كل فرض،وأنا معه.. لكننا لم نكن نفعل من الصلاة إلا التكبير بصوت عال.. أما القرآن وما يقال أثناء الركوع والسجود.. فكنا نقول طلاسم معينة... جعلني والدي أحفظها في مرحلة متقدمة من علاقتي بالجن حتى أننا كنا نذهب للصلاة بدون وضوء، وبدون طهارة...

بدأت مراسم أخذ العهد مني في ليلة أخرى يشرح لي والدي ما يجب علي فعله..كان علي أن أصوم تمامًا عن الكلام،وأن أنعزل في تلك الحجرة لمدة أربعين يومًا دون طهارة، وكان علي أن أدنس المصحف بطريقه لا أجرؤ علي وصفها،وشرح لي أن هناك شيء ما سيأتيني أول ليلة ويتحدث معي، لكن لا يجب أن أرد عليه، أو أخشاه أبدًا، وأن أظل أردد طلاسم معينة تتغير كل ليلة، كما يتغير هذا الشيء الذي سوف يأتيني كل ليلة، حتى الليلة الأربعين، وهي الليلة التي سيأتيني فيها الملك المطلوب الذي ننشده.. كان يسميه ملك رغم علمه التام أنه شيطان مارد.. كان يطلب مني ألا أخاف وأنا أرسم بعض الرسومات التي علمها لي و جعلني أحفظها تمامًا علي إناء به ماء ورد وزعفران، و أكتب في داخل هذه الرسومات أسماء الجان الذين أطلبهم، وذلك كل ليلة حتى

يأتون لي..كان أهم ما قاله لي ألا أخاف أبدًا لأن الخوف سوف يسبب لي مشكلة كبيرة لن يستطيع هو ولا أكبر منه أن يحلها، أخذت ما أرادني أن آخذه من أدوات، وطعام، ومياه،ثم دخلت إلى الحجرة المظلمة سيئة التهوية، والإضاءة، وأخذت أتلو بعض الطلاسم بصوت عال،بكلمات جعلني أُرددها وراءه، و أحفظها مسبقًا.. ظهر فِي الحُجرة علي أثر ذلك ثعبان كبير الحجم أسود اللون،خارجًا من دخان خفيف أحمر اللون،كان هذا هو احد أفراد عائلة الجن،والذي كان مؤاخيًا لوالدي،ومساعدًا له،طوال السنوات الماضية،واستمرت الكلمات تخرج من فمي دون وعي مني.. كانت أول مرة أري فيها هذا الأمر فعلًا أحسست بالخوف الهائل، لكني سرعان ما تذكرت كلمات والدي عن أن الخوف سوف يسبب لي مشكلة كبيرة فحاولت أن أبتعد عن الخوف قدر استطاعتي..

حدث كل شيء كما قال لي والدي بالضبط.. كان هذا الثعبان رفيقي طوال الوقت وفي الليلة الأولي ظهر دخان كثيف عند مدخل الحجرة خرج منه شخص ما يرتدي عباءة طويلة سوداء اللون ومعه سيف دنا مني وقال لي: ماذا تريد؟

لم أرد بالطبع فقال: ماذا تريد؟..

كررها ثلاث مرات، ولما لم أرد قال لي في المرة الرابعة: إذا كنت تريد مالا أعطيتك حتى تكتفي.

لم أرد حتى يأس مني،وانصرف وأنا أُكرر كلماتي وطلاسمي.

في الليالي التالية تكرر نفس الوضع بأشخاص مختلفين،وكلمات مختلفة، وكل مرة يطلب مني الملك أن يعطيني ما أريد من أموال، أو ذهب، أو نساء، أو أي شيء اسميه له،لكني لم أكن أرد وكنت أواصل صيامي عن الكلام معهم، و أظل أردد ما حفظت من طلاسم.. حتى كانت الليلة الأربعون،فجاء الملك الذي أنشده، وهو أشدهم قوة، ويظهر ذلك من ملابسه، ومشيته، اقترب مني وسألني: ماذا تريد مني؟

كان والدي قد قال لي كيف أرد عليه، قلت له : العهد.

تفحصني جيدًا وقال : هل تريد العهد؟ هل أنت مستعد لهذا؟

قلت: نعم.

قال: مهما كان ما نطلبه في المقابل.

قلت: نعم.

مد لي يده قائلًا: تعال.

أخذت يده وأغمضت عيني كما قال لي والدي، وأحسست بالهواء البارد يلفح جسدي،وفي لحظة وجدتني فوق جسر طويل جدًا، فوق مياه جارية، لم أعرف هل هي بحر، أم نهر، كبير، واسع، شديد الاتساع.

كان الجسر يوصل إلى ما يشبه الفنار القديم المظلم، كان المطلوب مني أن أذهب كل هذا الطريق إلى الفنار لأقابل زعيم قبيلة الجن الذي سوف يأخذ مني العهد.

أخذت أمشي بخطوات مرتعشة فوق ذلك الجسر، كنت خائفًا من الأصوات المرعبة التي سمتعها تتردد من داخل الفنار.. صرخات جنونية لشباب لم أتبين ملامحهم من ذلك البعد،لكنهم كانوا جميعا يرتدون السواد،كان صدي أصواتهم يتردد في الفضاء حولي وعندما اقتربت من المكان وجدتهم جميعًا يرتدون الملابس السوداء، ويضعون حول أعناقهم سلاسل عليها رمز الجمجمة، كما لاحظت وجود وشم بصورة جمجمة علي أكتافهم من الناحية اليسرى، حيث كانت الملابس التي يرتدونها دون أكتاف.. كانوا يقفون داخل دائرة من النار مرسومة داخل النجمة السداسية المشهورة عنهم.

عرفتهم علي الفور..شاهدتهم قبل هذا في بعض الأفلام،إنهم من يطلقون عليهم عبدة الشيطان،لم أكن أعرف أنهم موجودون فعلًا في الحقيقة، لكني رأيتهم بعيني..كانوا جميعا يتحركون مثل السكارى، أو المخدرين. يرقصون علي موسيقي صاخبة جدًا بطريقه هستيرية، يشعلون شموعًا سوداء،بالإضافة إلى ذلك كانت هناك فتاة صغيرة في السن،لا يزيد عمرها عن العشرين عامًا، ترقد داخل الدائرة في حالة سيئة كأنها مشلولة، لكنها كانت واعية تمامًا لما يدور حولها،فقد كانت عينيها تدوران مع النيران في كل اتجاه.

دخلت إلى المكان فوجدت زعيم قبيلة الشياطين يجلس فوق كرسيه يراقب كل ما يحدث بسرور .

وقفت أنظر إلى ما يحدث، بعد دقائق أشار إلى مجموعة الشباب الواقفين حول الفتاة، فتقدم إليها أحدهم و أمسكها من شعرها، وجرها جرًا إلى أسفل قدميه، ثم استل سكينا من جوار الشيطان،وذبحها وهي تنظر إليه في ذهول،وتصرخ بصورة مفزعة..وسط صرخات جنونية،وبمنتهي القسوة والبرود ذبحها تحت قدميه!

كدت انهار من بشاعة المنظر، لكني كنت اعرف أن مصيري سيكون أسوأ منها لو انهرت الآن .

أشار إليّ فتقدمت..لم يتحدث فقط..أشار إلى يدي فأعطيتها له فأخذ الخنجر،وأمسك بيدي، وجرحها جرحًا داميًا اتخذ شكل دائرة في باطن يدي..كان الألم لا يطاق،وأخذ الدماء التي سالت من يدي في قدح، ثم أشار إلى أحد معاونيه أن يكتب بها عهدًا علي جلد بني اللون، يتضمن أني لن أخونهم أبدًا و إلا كان جزائي العذاب حتى الموت،ثم أشار إلى أحد معاونيه الذي أخرج من النار قضيبًا ملتهبًا عليه النجمة السداسية أمرني بان اخلع ملابسي حتى يظهر كتفي الأيسر، ووضع القضيب الملتهب خلفه حتى أحسست بلحمي ينصهر، و عرفت أن تلك علامة العهد التي لن تمحي أبدًا .

عند هذا الحد من الألم كدت أسقط مغشيًا عليّ لكنني تماسكت حتى أتي الملك الذي جاء بي إلى هنا،و أمسك بيدي ليردني إلي الحجرة التي أخذني منها، و بعد لحظات انصرف عني

وفتح والدي الباب،وهو في قمة السرور،وأخذ يربت على كتفي السليم، و هو يهنئني على نجاحي في أخذ العهد، وأخذ يعدني بنفوذ لا أحلم بها،وأموال لا أستطيع عدها،وقوة لا تنتهي أبدًا.

زوجني والدي لابنه أحد أكبر أثرياء المحافظة، ورزقت منها بطفلين جميلين كانا أهم، وأجمل شيء في حياتي. كانت زوجتي إنسانة متدينة،لم أستطع أن أشركها معي فيما أنا فيه من فسوق،وإثم.. لهذا أخذت لها مسكنًا مستقلًا عن مسكن العائلة، وأبعدتها و ولداي عن كل ما أفعل. لم تكن تعرف عني إلا أنني رجل مميز بعلاقاتي مع الجن الصديق الذي أتعايش معه،أما كيفية تعاملي وتعايشي مع هذا الجن..فلم تعرف عنه أي شيء.

في الأيام التالية أخذ والدي يتباهى بقوتي أمام مريديه، وظل يدفعني إلى العمل معهم حتى أخلفه في عمله هذا.استمرت أعمالنا عدة سنوات حتى مات والدي تلك الميتة البشعة، و دفن بتلك الطريقة اللابشرية، ولكن من قال أننا كنا ساعتها بشرا!.. لقد كنا أشبه بالحيوانات نأكل، ونشرب، ونمارس كل أصناف المتعة المحرمة مع الإنس، والجن.

عندما قررت أن أتطهر لأول مرة منذ عرفت طريق الحق.. كان ذلك من أجل أن أُصلي فعلًا،وليس أتظاهر بالصلاة. وجدت ساعتها الشياطين تتراقص أمامي،وعندما دخلت في الصلاة لأول مرة وجدتهم يرسلون لي جنياتهم اللاتي اعتدت

معاشرتهن في أجمل صورة، وأكثر الملابس عريًا وخلاعة؛ لتردني عن الصلاة.. لكني كنت قد صممت علي التوبة، فلم أنظر لهن علي الإطلاق .

استمر الوضع هكذا عدة أيام، حتى تأكدوا تمامًا من توبتي فبدأوا في ممارسة طقوس أكثر بشاعة معي.. فمرض ابني الأكبر مرضًا لم يفلح معه أي طبيب في العلاج، لكني لم أتراجع عما نويته، و تزايدت حدة العقاب الذي فرضوه عليَّ، وعلى حين فجأة أثناء صلاتي لقيام الليل في إحدى الليالي وقع طفلي الصغير من فوق سريره على جمجمته فتهشمت تمامًا، حتى أن عينيه خرجتا من محجريهما بصوره بشعة.. سقط من فوق الفراش كأنه سقط من أعلي بناية عالية، أو كأنه قد أُلقى به من فوق فراشه بطريقة وحشية علي رأسه، لكنني كنت قد عرفت طريق الحق، وقررت ألا أتراجع عنه مهما كلفني الأمر.

و بدأوا في مضايقة زوجتي التي لم يكن من الممكن أن أطلقها، لأنهم كانوا يعلمون تمامًا أنني أحبها حبًا شديدًا، وأنني إذا ما طلقتها فسوف يكون ذلك لتجنب إيذاءها منهم فقط،وكانوا سوف يستمرون في إيذائها مهما فعلت. فكانت إذا ما دخلت إلى الحمام تخرج صارخة وهي تقول أن هناك ثعبانا كبيرًا ينتظرها هناك ليلدغها.

لكنني صممت علي ما أنا فيه حتى قتلوها أمام عيني ذات ليلة اشتعلت فيها النيران فجأة و هي تعد الطعام في المطبخ دون

أي سبب واضح أثناء صلاتي أيضًا، لأن أشد ما يكره الشيطان من الإنسان أن يسجد لله أثناء الصلاة؛لأن الشيطان قد أمر بالسجود فعصي و الإنسان أمر بالسجود فأطاع، لهذا يكره أن يري الإنسان يسجد لله.

لم يتبق لي بعد كل هذا سوي طفلي الأكبر الذي كان من المفروض أن يحمل العهد من بعدي ولهذا تركوه للنهاية حتى يعرفوا مدي تصميمي علي قطع العهد بيننا،وعندما تجاهلت كل ذلك واستمرت توبتي وصلاتي لله سبحانه،وتعالى مات طفلي في النهاية.

أعلم أن كل تلك المصائب قد كتبها الله علي تكفيرًا عما قمت به من شرك، وآثام طوال المدة السابقة لتوبتي،وأنا راضٍ بما حدث، و أحتسبهم عند الله، و أدعوه أن يقبل توبتي،ويحسن خاتمتي،وأعرف أني في سبيلي إلى الموت البطيء.. لكني لن أتراجع عن توبتي،ولا عن إيماني،ولا عن تكفيري عن ذنوبي،وكل ما أرجوه أن يتقبل الله مني توبتي، ويحسن خاتمتي،ولا يتركني أعود لما كنت فيه من معصية مره أخري.

ترك الميكروفون وأخذ يبكي بصوت خافت..انسابت دموعه فوق لحيته المتوسطة الطول،و أخذ يجففها بيديه.

أخذ المذيع الميكروفون،وهو في حالة ذهول من كلامه،وقال: لا أجد كلامًا مناسبًا للتعقيب علي ما سمعتم الآن

سوى أن أدعو الله أن يستجيب لك، ويتقبل توبتك، ويعوضك خيرًا عن أسرتك التي فقدها، ولا أعتقد أن أحد من المشاهدين لديه أي أسئلة لك عن هذا الموضوع ، ولكني أسأل الله تعالى أن يثبتك علي الطريق الصحيح، ويبدل سيئاتك حسنات.

عند هذا الحد انتهت الحلقة المثيرة،وبعد خروجه من الأستوديو فوجئ الجميع بالساحر يتغير لون وجهه ثم يسقط علي الأرض ميتًا بدون أي سبب، وعندما جاء الطب الشرعي لمعرفة سبب الوفاة كتب الطبيب في مذكرته أن سبب الوفاة أزمة قلبية حادة، نتيجة صدمة عصبية أدت إلى الوفاة في الحال.

القضية رقم ١١٣



جلس حاتم في مكتبه يراجع للمرة العاشرة ملف القضية،كل الدلائل تشير إلى انتحار تلك السيدة الشابة.

كانت علي خلاف كبير مع زوجها الطبيب المشهور،والذي كان موجودًا بالمستشفى تلك الليلة لعلاج حالة طارئة.في أيامها الأخيرة عانت من نفسية سيئة جدًا،خاصة بعد أن أثبتت كل التحاليل الطبية أنها لن تستطيع الإنجاب أبدًا. تلك التحاليل غالية الثمن التي أجرتها في المستشفى الخاص الذي يعمل به زوجها.

لكن، بحكم عمله كضابط شرطة كان لديه نوعا من الشك في كل ما سبق، إذ كيف تنتحر شابة تبلغ من العمر خمسة وثلاثين عامًا ،تمتلك كل ما تشتهيه أي امرأة.. المال، والجمال،والصحة،والشباب،والزوج المشهور الناجح، والأسرة المحبة،من أجل الإنجاب؟! كان يمكن أن تتبنى طفلًا.. كان يمكن أن تجرب طرقًا أخرى.. أن تسافر إلى الخارج لأحدث العيادات والمستشفيات.

أخذ يستبعد حدوث جريمة قتل باستبعاد المشتبه بهم و أولهم الزوج بالطبع،فقد شهد العديد من الأطباء،والممرضات،والعمال علي وجود الطبيب في المستشفى طوال الساعات التي سبقت الحادث،ولم يكن من المرجح حدوث قتل بغرض السرقة؛لأن كل شيء في المترل كان كما هو.

لم يكن هناك أي عداوة بينها،و بين أي شخص ولا بين زوجها، أو عائلتها،و بين أي شخص.

كان هناك شيئًا ما مفقودًا في هذه القضية.لكنه لا يستطيع الأخذ بالأحاسيس الشخصية،و لهذا فضل عدم إغلاق ملف القضية لفترة قصيرة أُخرى ربما يستطيع إيجاد ما مفقود فيها.

في تلك اللحظة دخلت أمنية زوجته إلى المكتب،وهي في حالة من السعادة،كانت تتحدث في جوالها بنبرة فيها الكثير من الأمل،و السعادة، والتفاؤل،بعد أن أنهت المحادثة نظرت إليه وهي تكاد تقفز من الفرحة،وقالت:أخيرًا حددوا لي ميعاد العملية..بعد غد..مطلوب مني الصيام التام غدًا،وبعض التحاليل البسيطة.

قام حاتم إليها،وربت على وجهها، وقال لها: الحمد لله،أتمنى أن تكون ناجحة و ينتهي كابوس المياه البيضاء وتعود نظرة عينيك الصافية مرة أخرى.

نسي حاتم موضوع القضية لعدة أيام قضاها في التفكير في مصير زوجته التي كانت تعاني منذ فترة من المياه البيضاء على عينيها. لم يكن الأطباء يعرفون السبب في إصابتها في تلك السن المبكرة،فهي لم تتجاوز الخامسة والأربعين،ولا تشكو من ارتفاع في الضغط، ولا أي مرض لكنها إرادة الله تعالى.. احتاجت إلى عملية زرع عدسات،ولأنها عملية دقيقة،وشائعة لم تكن

العدسات متوفرة فاضطرت للانتظار علي لائحة طويلة لعدة أشهر و ها هي أخيرًا تفوز بفرصة ثانية كي ترى الحياة و يسعد بوجودها إلى جواره بدون نظرة الحزن في عينيها،خاصة و أن تدهور نظرها كان قد بدأ في الازدياد.

بعد أسبوع تقريبًا قرر الطبيب نزع الضمادات من علي عينيها.

كانت لحظة مخيفة بالنسبة لها؛ لأن الطبيب لم يكن واثقًا من نجاح العملية،وكان يخشي من رفض الجسم للعدسات، لكنه وجد أن الأمور بخير فهنئها،و لماوجدها لا تستطيع الرؤية جيدًا قال لها:على رسلك.. عينيك مرت بعملية دقيقة،وكانت مغطاة لمدة طويلة،ومن الطبيعي ألا تستطيعين الرؤية لفترة،لكن يجب أن تقومي بعمل بعض تمارين الإبصار، وتبتعدي عن الشمس و الدخان، و الحر تمامًا لمدة شهر على الأقل ثم سنرى النتيجة.

سارت الأمور طبيعية لعدة أسابيع، استطاعت خلالها أن تميز بعض التفاصيل الصغيرة في الأشياء،كانت قد افتقدتها بسبب ضعف إبصارها.

. حتى كان ذلك اليوم المخيف الذي قامت فيه من نومها فزعة،تصرخ،وتضرب بيديها الهواء، وكأنها تحاول إمساك شيء ما.

قام حاتم مفزوعًا من نومه،وحاول تهدئتها،و إضاءة نور الحجرة بسرعة:ماذا حدث؟ اهدئي يا حبيبتي إنه مجرد حلم مجرد كابوس.

أخذها بين ذراعيه كطفل يرتجف،و ظل يقرأ لها بعض آيات القرآن حتى هدأت، ونامت.

في الصباح حاول أن يعرف منها تفاصيل الكابوس،لكنها لم تكن تتذكر أي شيء علي الإطلاق.

في تلك الأثناء قرر حاتم الذهاب إلى زوج المنتحرة للمرة الأخيرة؛ليستجوبه، لعله يجد لديه ما يريح صدره،و يجعله يغلق القضية.

ذهب إليه في المستشفى الخاص،الباهظ التكاليف،الذي يعمل فيه.. عندما رآه الزوج تجهم قليلًا، لكنه أخذه إلى مكتبه الفاخر ليتحدث إليه.

حاتم: كيف حالك؟ جئت إليك لأخبرك بأني سوف أغلق ملف القضية أخيرًا، لكني أريد أن أسألك بعض الأسئلة.

الزوج:مرة أخرى أسئلة؟! ألا يكفي ما أعانيه من ألم؟! زوجتي التي أحببتها أكثر من حياتي،وعملي ماتت.قتلت نفسها، و لم أستطع مساعدتها و لم أكن حتى موجود في المترل لحظة انتحارها. أحيانًا أكره كوني طبيبًا لأن عملي اضطرني

للخروج من المترل في تلك الليل المشئومة،والابتعاد عنها. كنت أعرف جيدًا حالة الاكتئاب التي كانت تعانيها. كنت أعلم جيدًا أن مضادات الاكتئاب التي أدمنتها كانت تزيد من رغبتها في الانتحار. كان يجب أن أظل معها. كان يجب أن أعتذر عن الحالة الطارئة في تلك الليلة.

بكي الزوج بحرقة عند هذا الكلام، لكن ظل إحساس حاتم بأن هناك خطأ ما يلازمه.

سأله حاتم: في رأيك كطبيب. ألم يكن هناك أي أمل لها في الإنجاب؟

أجاب الزوج:قلت لك عدة مرات لقد أجرت عدة تحاليل متخصصة،أثبتت عدم قدرتها نهائيًا على الإنجاب.

حاتم: وهذه التحاليل، من قام بها؟

الزوج: إحدى أفضل طبيبات التحاليل بالمستشفى هنا.

حاتم: ولماذا لم تُجري التحاليل مرة أخرى في مكان ثان؟! ربما كان هناك خطأ ما في أجهزة المستشفى؟

الزوج: ليس هناك نسبة واحد بالمائة من الخطأ،لو علمت أن هناك نسبة خطأ لأجريناها خارج المستشفى.

حاتم: أين كنت ليلة الحادث؟

الزوج بصبر نافذ:قلت لك..جاءتني مكالمة هاتفية من المستشفى بوجود حالة طارئة،فخرجت بسرعة بسيارتي إلى هناك؛لإنقاذ الحالة،و بعد حوالي ساعتين اتصلت بي الشغالة لتبلغني الخبر المشئوم بأن زوجتي قد ألقت بنفسها من شرفة المترل في الدور الثالث،و أنها بين الحياة والموت،فأسرعت إلى هنا بسيارة الإسعاف الخاصة بالمستشفى،و أخذناها إلى غرفة العناية المركزة،حيث باتت عدة ليالٍ في غيبوبة نتيجة كسر في قاع الجمجمة،ثم ماتت.و أعتقد أنك تعرف كل هذه التفاصيل،و أعتقد أيضا أن البلد كلها تعرفها،لأنها نشرت في جميع الجرائد.

حاتم: صحيح، أشكرك، و مرة أخيرة لك خالص عزائي.

انصرف حاتم وهو يحاول أن يصرف عن نفسه هواجس لا يعرف من أين تأتيه.

في صباح اليوم التالي و في مكتبه بقسم الشرطة دخل عليه أحد أطباء التحاليل بمفاجأة كبيرة.

-دكتور محمود أخصائي تحاليل.

هكذا عرفه بنفسه ثم وضع أمامه المفاجأة.. كانت صور تحاليل السيدة المنتحرة،والتي أجرتها في معمل آخر للتحاليل بدون علم زوجها،قبل وفاتها بعدة أيام،وكانت المفاجأة الأكبر

أنها شددت علي الطبيب عدم إرسال نتائج تلك التحاليل إلى زوجها، بل انتظار زيارتها له لاستلامها بنفسها.

حاتم: وما الجديد في تلك التحاليل؟

محمود: إنها طبيعية مئة بالمئة وتستطيع الإنجاب في أي وقت.

حاتم: و لماذا انتظرت حتى الآن لتعطيني تلك النتائج؟

محمود:أنا عادة لا أتابع الصحف،وما ينشر فيها من حوادث،وعندما لم تحضر السيدة لاستلام التحاليل رُغم لهفتها عليها،سألت بعض زملائي الذين قالوا لي ما حدث بالأمس فقط.

ابتسم حاتم في نفسه لأنه ربما قد وجد الخطأ أخيرًا.

في تلك الليلة قامت زوجته من نومها مفزوعة للمرة الخامسة في خلال شهر،وكانت تهذي، وهي تصرخ وتقول:لا.. حرام.. حرام...

وحينما أضاء النور وجد فراشها ملوثا بالدماء،ثم عندما تفحصها جيدًا لم يجد فيها خدشًا واحدًا!

احتارا في كيفية وجود الدماء علي الوسادة،لكنه قال لها:ربما كان نزيفا من أنفك،و انتهي قبل أن تقومي صارخة.

ذهبا مرة أخرى إلى طبيب العيون الذي أجرى لها الجراحة،لكنه أكد أن كل شيء سليم و أن الدماء لم تكن من

الجراحة،فقررا الذهاب إلى أحد الأطباء النفسيين لعرض حالة زوجته فقال له: يمكن أن تكون تلك الحالة مجرد صدى للقضايا التي تحكي لها عنها بحكم عملك كضابط شرطة،أو ربما يكون هذا رد فعل طبيعي علي دخول جزء من جسد شخص آخر إلى جسدها.. الجسم الإنساني يحمل ألغازًا لم نعرف عنها شيء بعد، وكل مشاعرنا عبارة عن مواد كيميائية ضئيلة جدًا يفرزها كل جسم علي حدة، ربما الجزء المزروع لها يحمل معه بعضًا من ذكريات أو مشاعر المتبرع والتي لازمته قبل و أثناء وفاته خاصة أن كل تلك الكوابيس التي تنساها بمجرد أن تصحو بدأت بعد زرع عدسات من شخص أخر في عينيها.

بعد تأكده من التحاليل الخاصة بالقتيلة،قرر وضع زوجها تحت المراقبة،و مراقبة تليفون منزله،وجواله.

كان كل شيء يبدو طبيعيًا جدًا في حياة الزوج،فهو رجل مشهود له بالنزاهة،و الأخلاق.

ذهب إليه هذه المرة حاملًا معه صورة من التحاليل،وجلس أمامه يستعرضها.

حاتم:لماذا لجأت زوجتك إلى معمل آخر دون علمك لإجراء التحاليل مرة أخرى؟

بهت الزوج قليلًا،و ظهرت حبات صغيرة من العرق علي وجهه، مسحها بسرعة، وهو يقول: لا أدري، ربما شكت في نتيجة المستشفى، و أرادت التأكد من جهة أخرى.

حاتم: نعم هذا وارد، و لكن لماذا لم تبلغك بذلك؟!

الزوج:لا أدري، ربما خافت لو تأكدنا من عدم قدرها علي الإنجاب أن أتزوج من أخرى.

حاتم: وما الذي قد يدفعها لهذا الظن؟

الزوج: لا أدري.. لا أدري.. لقد كنت أحبها كثيرًا،ولم يكن يعنيني أن أنجب أو لا. خاصة و إنني قد تزوجت متأخرًا لانشغالي بحياتي المهنية، وكان موضوع الأولاد ثانويًّا في حياتي.

لم يقتنع حاتم بكلامه، لكنه قرر الانصراف على أن يتحدث إليه مرة أخرى قريبًا.

في ذلك الأسبوع، و رغم الأدوية المهدئة التي كتبها الطبيب النفسي لزوجته،قامت من نومها عدة مرات تصرخ، لكنها في كل مرة كانت تضيف بعض التفاصيل لكابوسها.

بعد عدة أسابيع أخرى لم يعد الأمر قاصرًا علي الليل فقط،فقد عاد حاتم إلى المترل ذات يوم فوجد أُمنية تجلس علي أحد الكراسي،وترفع ساقيها إلى جوارها،و تبدو في حالة من الغيبوبة و هي تنظر إلى الفراغ،وما أن لمحته يقترب منها حتى صرخت بصوت يملؤه الرعب،و حاولت الهروب من أمامه،لكنه أمسكها، وحاول أن يجعلها تفيق من غيبوبتها،لكنه فشل،وظلت تصرخ:لماذا؟! أنا لم أفعل لك شيئًا.. لماذا تريد قتلي؟!

بعد نصف ساعة من الصراخ المتواصل أفاقت أمنية قليلًا لكنها كانت متعبة للغاية، فحاول حاتم أن يجعلها تنام، لكنها رفضت، و قالت له أنها تذكر الكابوس تقريبًا، وتريد أن تحكي له عنه.

أمنية: أرى نفسي نائمة في فراش وثير،ثم أسمع أصوات همس لا أستطيع تمييزها،و أعود إلى النوم.. رأسي مخدر لا أستطيع التركيز،لا أذكر كم من الوقت مر عليَّ و أنا نائمة.. لكني أفيق علي ألم رهيب يدق رأسي.

حاتم:لا تحاولي التذكر،ربما من الأفضل تجاهل تلك الأحلام المزعجة،لعلها كما قال الطبيب النفسي أصداء لحكايات قديمة،أو حوادث بصفتك زوجه ضابط شرطة، أو ذكريات صاحب العدسات.

ذهب حاتم إلى مكان الجريمة يبحث فيه مرة أخرى،عله يجد شيئًا. كان مسرح الجريمة عبارة عن مدخل منزل مكون من أربعة طوابق يملكه زوج القتيلة، و المدخل محاط ببعض الأشجار القصيرة، المقلمة بعناية.نظر حاتم إلى الشرفة التي سقطت منها،و تخيل جسدها،و هو يطير عبر الشرفة إلى الأرض،وفي بقعة محددة ما تزال داكنة اللون،كانت بعضًا من دمائها موجودة.

نظر بحرص إلى باقي المكان فلاحظ،وجود شيئًا معدنيًا يلمع فوق إحدى الشجيرات. اقترب منه بسرعة،فوجده مفتاحًا

صغيرًا،أخذه علي الفور بحرص حتى لا يمسح البصمات الموجودة عليه،و عند مضاهاة البصمات اكتشف أنها للقتيلة.

قلب ذلك مجري القضية في رأسه إذ كيف تنتحر السيدةوهي تمسك في يدها مفتاحًا؟! مهما كان ذلك الموجود بالخزنة،فهو بالتأكيد ليس أغلى عندها من حياتها لتكون حريصة إلى هذا الحد على أخذه معها في رحلتها الأخيرة من الشرفة! تساؤلات كثيرة دارت في رأسه: أين توجد الخزنة التي يفتحها هذا المفتاح؟ و ما الذي تحويه؟ و هل ما يوجد بداخلها هو الذي قتلها؟

ذهب حاتم مرة أخرى إلى منزل القتيلة و أخذ يفتش في أغراضها بصورة أدق عله يجد ما يفسر المفتاح. لاحظ بعد فترة وجود علبه صغيرة صدئة في أحد أدراج الدولاب، كان زوج القتيلة حاضرًا فسأله عنها: لمن هذه العلبة؟

الزوج: كانت هدية من والد زوجتي لها و هي طفلة،أحضرها من إحدى سفرياته البعيدة،وكانت تعتز بها جدًا لدرجة أنها احتفظت بها حتى بعد أن صدئت -كما تري- لكنها لم تكن تضع فيها شيئًا مجرد خطابات والدها الراحل لها وصورًا عائلية قديمة.

لم يكن الزوج يعرف شيئًا عن المفتاح الذي وجده حاتم بالطبع فسأله:و أين المفتاح الخاص بها؟

رد الزوج: ليس لها مفتاح إن قفلها مكسورٌ منذ فترة طويلة جدًا، و لم نبالي بإصلاحه لأنها كما ترى لا قيمة ماديه لها.

حاول حاتم فتحها لكنه فوجئ بأنها مغلقه فقال له:هل يمكنك إحضار سكينًا رفيعًا من المطبخ لأُحاول فتحها؟

رد الزوج في تململ:أستاذ حاتم..ألم تقيد القضية كانتحار؟! ألم تدفن زوجتي منذ ما يقرب من خمسه أشهر؟! ألم تكتفي بالكشف الطبي الظاهري عليها قبل وفاتها لاستخراج شهادة وفاة لها، وترفض إجراء تشريح للجثة لأن كل الإشاعات،والكشف الظاهري أثبت أنها ماتت نتيجة ارتطامها بالأرض بعد وقوعها من الدور الثالث؟! إنك تضيع وقتك ووقتي أرجوك..إن لي حياة أريد أن استردها، فمنذ وفاة زوجتي الدرامي هذا، و أنا شبه ميت. ألا يكفي ما حدث لي؟!

ابتسم له حاتم وقال:التحقيق مازال جاريًا في القضية،وهناك أدلة جديدة أبحث فيها حاليًا.. سكين رفيع إذا سمحت.

خرج الزوج علي مضض،و هو يهمس ببعض كلمات تدل علي الضيق،و انتهز حاتم تلك الدقائق ليجرب فتح العلبة بالمفتاح الذي وجده أسفل الشرفة، ففتحت بسهولة،و نظر إلى الداخل ليجد صورة واحدة فقط.. صوره صدمته كما صدمت الزوجة بالتأكيد.. كانت صورة الزوج الطبيب يسير في إحدى الدول الأجنبية، و هو يحتضن سيدة عربية الملامح في حالة من

الحب،و الرومانسية،و أسفل الصورة كُتب تاريخ حديث يسبق الوفاة بعدة أيام.

أخذ حاتم الصورة بسرعة،ووضعها في جيبه،وأغلق الصندوق في نفس اللحظة التي عاد بها الزوج حاملًا معه السكين. أخذه منه حاتم، و وضعه في القفل، وفتح غطاء العُلبة أمام الزوج ليجداها فارغة.

ابتسم الزوج في سعادة ابتسامة نصر،و هز رأسه كأنه يريد من حاتم أن ينصرف.

أخذ حاتم الصورة، وفصل منها صورة السيدة،و ذهب بها إلى كل معارف الطبيب زوج القتيلة؛ليعرضها لعل أحد منهم يعرف تلك السيدة.لكن أحد لم يعرفها إلا في المستشفى حيث اكتشف أنها طبيبة التحاليل الجديدة التي تم تعيينها هناك قبل عام.

استدعى حاتم الطبيب،وواجهه بالصورة لكن الأخير أنكر تمامًا وجود أي علاقة بينه،و بين الطبيبة الشابة وشكك في الصورة، و قال:ربما مركبة بواسطة أحد برامج الكمبيوتر،لقد كنت داخل مصر في هذا التاريخ،ولم أُغادر مصر منذ عدة شهور.

سأله حاتم: و لماذا وصلت هذه الصورة إلى زوجتك؟

رد الطبيب:لا أدري ربما أراد شخص ما أن يشوه صورتي عندها.

بعد عمل الكثير من التحريات، اكتشف حاتم أن الطبيب لم يغادر مصر في التاريخ المكتوب علي الصورة، لكنه كان يحضر مؤتمرًا طبيًّا في شرم الشيخ، وكانت تلك الطبيبة في أجازة مرضية.

أخذ حاتم يفكر.. ربما كان الطبيب علي علاقة بتلك الطبيبة و لما وصلت الصورة إلى زوجته،واجهته،فأنكر،أو اعترف وخرج و انتهي الأمر بانتحارها،ولكن لو أنها فعلا انتحرت نتيجة اعترافه لها بما بينه وبين أي سيدة أخرى فلماذا لا يقول ذلك؟! إلا إذا كان هو الذي قتلها فعلا.

في تلك الأثناء ازدادت حالة زوجته سوءًا ففي أحد الأيام خرجت صارخة من الحمام وجبهتها تنزف بشدة .بعد أن هدأت بعض الشيء قالت لزوجها:نظرت في المرآة لكني لم أرى نفسي..لقد رأيت امرأة أخرى.كانت تقف بدلًا مني،تنظر إلي وهي تنزف بشدة.مدت يدها نحوي،وكأنها تريد أن تأخذني إلى المرآة:إنها تطاردني منذ فترة، لم أعد أحتمل ذلك. ماذا تريد مني؟!

أخذت أمنية تصرخ، و هي تنظر إلى كل الاتجاهات:ماذا تريدين مني؟! من أنت؟! ماذا تريدين مني؟!

استدعي حاتم لها الطبيب الذي كشف عليها جيدًا، لكنه لم يجد أي مصدر لتلك الدماء علي جبهتها.

-ولا حتى خدشًا صغيرًا.

هكذا قال الحاتم.

أعطاها الطبيب حقنه مهدئة؛كي تنام،لكنها كانت تقاوم بشدةوتقول: لا.. لا أريد أن أنام.. إنهم يأتون إليّ أثناء نومي.. كرهت النوم.. لا أريد أن أنام.

بعد عدة أيام من الحبوب المهدئة قالت له أمنية أنها ترى في منامها سيدتين،ورجلًا،و كأنهم يبحثون عنها،و يريدزن بشدة لقاءها حتى تتحرر من كل ما بها من مشاكل نفسية، لكنها لم تكن تعرف من هم هؤلاء الناس.

أخذ حاتم يستجوب الشغالة مرة أخرى فأكدت أن القتيلة كانت نائمة عندما خرج الطبيب من المنزل علي عجل،ولم تسمع أي شيء غير عادي في حجرتها حتى فوجئت بصوت صراخ يصدر من حجرة النوم،و عندما دخلت بسرعة إليها فوجئت بباب الشرفة مفتوحًا، و عدم وجود القتيلة في فراشها رغم أنها كانت واقعة تحت تأثير مضاد الاكتئاب، الذي يجعلها تنام فترات طويلة،و الذي أعطته لها بنفسها بناء علي أوامر الطبيب.و عندما ذهبت إلى الشرفة وجدت شبشب القتيلة هناك، فنظرت إلى أسفل، حيث شاهدتها غارقة في دمائها.

قرأ حاتم تقرير الطبيب الشرعي للمرةِ الألف:كسور في عظام الكفين،و الضلوع،و الجمجمة،وارتجاج شديد في المخ. كانت الجثة تبعد عدة مترات عن الشرفة ما يمكن أن يعني أنها قد ألقيت بعد أن حملها شخص،أو عدة أشخاص وربما لهذا السبب كانت تصرخ،أو أنها قد وقفت على سور الشرفة وقفزت إلى الأمام،فوقعت علي وجهها،ولكن لماذا أخذت معها ذلك المفتاح إذا كانت تريد فعلًا الانتحار؟! لماذا لم تتركه حيث يمكن أن يجده الجميع ليعلموا سبب انتحارها؟!

عند عودته ذلك اليوم إلى مترله فوجئ بأمنية تصرخ بعنف عندما شاهدته ثم تجري مسرعة إليه وفي يدها سكينًا لتطعنه في صدره،لكنه تفادى الطعنة فأصابته في يده،وتمكن من شل حركتها بعد مجهود شاق و بعد أن هدأت قليلًا، و أدركت ما فعلته قالت له: لم تكن أنت.. لم أراك.. لقد رأيت شخصًا أخر. كان وجهك يشبه شخصًا لم أره من قبل، لكن كان شيءٌ ما يدفعني لقتل ذلك الشخص.

بعد أن ضمد جرحه السطحي لمعت في رأسه فكرة، اتصل بخبير الرسم في القسم ليأتي ويحاول رسم صورًا لهؤلاء الأشخاص الذين تراهم زوجته.

بدهشة ممزوجة بالرعب..اكتشف أن السيدة التي تراها زوجته في المرآة كانت القتيلة،و أن الرجل الذي كادت أن

تقتله بسببه كان الطبيب زوج القتيلة، أما باقي الصور فلم يعرف منهم أحد.

في الليلة التالية كانت أمنية تقوم بتحضير العشاء لزوجها،وحين عادت إليه بالطعام صرخ من الخوف، عندما شاهد عيناها تترفان بغزارة بينما هي لا تشعر بشيء.

أخذت تصرخ عندما وضعت يدها أسفل عينيها ورأت الدماء، أخذ حاتم يزيل الدماء عن وجهها لكنها كانت ترى بوضوح،ولا تشعر بأي مشكلة على الإطلاق،ولم يكن يبدو على عينيها أي احمرار!.

بعد أن نظفت عينيها تمامًا،و نظرت إلى المرآة شاهدت صورة القتيلة بوضوح تقف خلفها،وعيونها تترف دمًا،و عندما التفت بالطبع لم تجد شيئًا!

كان ذلك اللغز كفيل بجعل أمنية،وحاتم لا ينامان من التفكير حتى لمعت في رأس حاتم فكرة مجنونة بعض الشيء.

ذهب إلى مستشفى العيون الخاص الذي أجرت فيه زوجته عملية زرع العدسات ليسأل عن مصدر تلك العدسات،و بعد الضغط على المسئول عرف الحقيقة المدهشة..لقد جاءت إليهم من مشفى الطبيب زوج القتيلة قبل العملية بيومين،أي بعد وفاة القتيلة بيوم واحد فقط.

بالطبع لم يكن هناك مجالًا لاستخراج العدسات،وفحص "الدي ان أيه" لمعرفة هل كانت تخص القتيلة أم لا.

لكن كانت هناك فرصة كبيرة جدًا لأن تكون تلك العدسات من القتيلة.

سأل حاتم في المستشفى عن أي جراحة لزراعة أعضاء أُخرى أُجريت في ذلك الوقت، فاكتشف أن هناك عمليتين لزراعة كليتين، و أخرى لزراعة قلب،و أخري لزراعة فصًا من الكبد، تمت جميعا في نفس الأُسبوع بالمستشفى.

استخرج حاتم الجثة وبعد إعادة الكشف عليها فوجئ بأن الجثة متحللة لدرجة لم يعرف معها إذا ما تم انتزاع أي أعضاء منها بعد الوفاة مباشر أم لا.

استطاع حاتم معرفه عناوين الأشخاص الذين تم نقل تلك الأعضاء لهم، و عندما استدعاهم إليه، وجدهم يشبهون تماما الصور التي رسمها الرسام من خيال زوجته أمنية!

عند سؤالهم عن حدوث أي شيء غير طبيعي منذ عمليات نقل الأعضاء لهم، أكد الجميع رؤيتهم لكوابيس رهيبة تختلف بين تقطيع أجسادهم،و رؤية أشخاص مجهولين،و الأغرب هو النزيف المستمر بدون سبب واضح في أماكن متعددة من أجسادهم.

استدعي حاتم الطبيب ليواجهه بما عرف،و لسؤاله عن معلوماته عن عمليات زراعة الأعضاء،و هل هي مأخوذة من زوجته أم لا.

حاتم:هل تعرف أ هناك عدة عمليات زراعة أعضاء جرت بالمستشفى في نفس توقيت وفاة زوجتك؟

بهت الطبيب قليلا وظهرت حبات من العرق علي جبهته،مسحها سريعا ثم قال: نعم، أعرف..لكن ما دخلي بها؟!

حاتم: هل تلك الأعضاء تخص زوجتك المتوفاة؟

الطبيب: لا..أنا لم أكن موجودًا أثناء الغسل،ولم أري زوجتي سوى بعد أن كفنتها المستشفى.

حاتم:يجب أن تعرف أن إثبات مصدر تلك الأعضاء سهل للغاية،كل ما يتطلبه ذلك هو تحليل "دي ان إيه" من أحد تلك الأعضاء ومن أي نسيج من جثة القتيلة.

الطبيب يبدو عليه علامات التفكير وبعد فترة من الصمت:وإذا كانت فعلًا منها فما الضرر في ذلك؟! لقد توفيت فعلًا و لم نقتلها من أجل الأعضاء.

حاتم :معنى هذا أن الأعضاء مصدرها زوجتك؟

الطبيب:لقد كانت زوجتي رحمها الله من المتبرعات بالأعضاء ،و هذا شيء يقره القانون الآن، ولا جريمة فيه ولدي إقرار موقع منها بأنها موافقة على التبرع بأعضائها بعد وفاتها لأي شخص بدون مقابل.

حاتم: أريد رؤية ذلك الإقرار.

الطبيب:بالطبع، لكنه موجود بالمترل،و سوف أبحث عنه وأحضره لك غدًا.

كان حاتم يعلم جيدًا أن الطبيب يمكن أن يزور إمضاء زوجته علي أي ورقة يُثبت بها أنها متبرعة فعلًا. ولكن هل يمكن أن يكون قد قتلها فعلا؟ و أن يكون السبب هو بيع أعضاءها؟

أم أن علاقته بتلك الطبيبة هي السبب؟ هل واجهته زوجته بالصورة فألقى بها من الشرفة؟ هل التحاليل التي قامت بها الزوجة في المستشفى كانت في الأصل تهدف إلى معرفة مدي توافق أعضاءها مع أجساد المرضى؟ و لماذا يفعل ذلك طبيبًا مشهورًا مثله؟من أجل المال؟! لديه الكثير من عمله في المستشفى وعيادته الخاصة.من أجل امرأة أخرى؟! كان يمكن أن يتزوجها سرًا دون علم زوجته.

في تلك الليلة رأت زوجته ما حدث..كانت تقف في شرفة المترل مع حاتم،وفجأة انتابتها نوبة من التشنجات،و بدت كأنها مخدرة..أخذت تصرخ،وهي تجري،و تهذي،و حاولت الهروب

إلى داخل دولاب ملابسها لكنها كانت تتخبط،وكأن هناك شيئًا أقوى منها يجذها بعنف حتى أخذها من أمام الدولاب إلى الشرفة مرة أخرى، ثم رآها حاتم تطير في الهواء، و تكاد يد خفية تقذف بها من الشرفة لكنه أمسك بها بسرعة و أنقذها. وحين هدأت قليلًا حكت له عما شاهدته.

كانت القتيلة تقف في الشرفة، تنظر إلى زوجها الطبيب،و هو يغادر المترل. كانت مخدره من إثر الحبوب التي أخذتها. دخلت إلى الدولاب،وأخرجت الصندوق،وفتحته،وأخرجت الصورة التي ظلت تحملق فيها طويلًا، لم تدرِ كم من الوقت مر عليها، و هي تنظر إلى صورة زوجها يحتضن تلك الطبيبة التي أجبرتها علي عمل تحاليل لمعرفة قدرتها علي الإنجاب.

أعادت الصورة إلى الصندوق و أغلقته بعناية وأعادته إلى مكانه،وعندما استدارت،وجدت زوجها أمامها فجأةوشاهدت الشر في عينيه..ضربها بقبضة يده علي رأسها فأفقدها التوازن.. حاولت الهرب إلى داخل الدولاب،و هي تصرخ لكنه جذبها بعنف من الخلف،و حملها ثم ألقي بها من الشرفة وجرى مسرعًا إلى الخارج..

كانت كل خيوط اللغز تُفَك أمام عينيه.. لم يبقي سوي دليلًا واحدًا يثبت أن وفاة القتيلة لم تكن انتحارًا. لكنه للأسف لم يجد هذا الدليل.

بعد محاولات يائسة من حاتم لإثبات تورط الطبيب في قتل زوجته، لم يجد أي دليل مادي ضده لهذا قرر إغلاق ملف القضية مؤقتًا.

في تلك الليلة قام حاتم من نومه على صوت ضوضاء آتية من حجرة نومه،وجد زوجته تسير بسرعة إلى خارج المترل،وعندما ناداها لم ترد عليه.لحق بها و حاول الحديث معها لكنها بدت و كأنها في عالم آخر.أخذت مفاتيح السيارة التي لم تتعلم قيادتها أبدًا،وأسرعت للخارج،فأسرع وراءها و استطاع في أخر لحظة الركوب في الكرسي المجاور لكرسي السائق الذي ما أن جلست فيه حتى انطلقت بالسيارة بسرعة كبيرة،بدت وكأن السيارة تسير وحدها،وعند مترل الطبيب توقفت السيارة فجأة كما انطلقت فجأة،وهناك نزلت أمنية إلى أسفل الشرفةووجد حاتم باقي المرضى الذين زرع لهم أعضاء من القتيلة يقفون تمامًا مثل زوجته في حالة من الخدر،عندما توجهت إليهم أمنيه.. بدا وكأنهم قد انتبهوا قليلا.

وقف حاتم يراقب الموقف وهو لا يدري ما الذي يعنيه ما يحدث .. أمسك المرضي بيد بعضهم البعض وهم في حاله من الخدر وكونوا دائرة،و بداخلها بقعة الدماء التي خلفتها جثة الضحية، و فجأة شاهد حاتم داخل الدائرة شبحًا لامرأة ترتدي رداء النوم..كانت الدماء تترف من كل أجزاء جسدها، ثم قبل

أن يستطيع التحرك ناحيتها اختفت فجأة،وصاحب ذلك صراخا آتيًا من شرفة الطبيب.

نظر حاتم لأعلى فشاهد الطبيب يطير في الهواء، و يسقط وهو يلوح بذراعيه بيأس كأنه يريد التعلق بأي شيء ينقذه من مصيره المحتوم، عند ارتطامه بالأرض نظر الجميع إليه ثم تفرقوا مبتعدين عن المكان تمامًا.

اقترب منه حاتم فوجده مازال علي قيد الحياة. اتصل حاتم بالإسعاف والشرطة لكنه لاحظ أنه يتحدث بصوت منخفض فاقترب منه ليسمعه يعترف:أحببتها ..منذ أن التقيت بها قبل عام في المستشفى،أردت الزواج منها، لكن لو كانت زوجتي قد عرفت لكانت صممت علي الطلاق.. لم أكن أعرف أنها تعرف قصتي معها.. حينما شاهدت الصورة بين يديها لم أتمالك أعصابي وهي تسبني،وتطلب مني الطلاق،وتهددني بالفضيحة بين مرضاي، سمعتي هي رأس مالي.. لم أدرِ بنفسي إلا وهي بين يدي أُلقيها من الشرفة،المحرمة.. لقد قامت بتقطيع زوجتي بعد وفاتها و بيع أعضائها.. ليتني ما عرفتها...

في نفس الليلة توجه حاتم إلى منزل طبيبة التحاليل لاستجوابها فيما قال الطبيب،طرق الباب طويلًا ثم فتح له والدها، و عندما توجه إلى حجرتها لإيقاظها خرج مذعورًا و لم يقوَ علي الكلام .. كانت جثة ابنته ملقاة في أرضية الغرفة مقطعة الأعضاء.

بعد تلك الليلة، لم تشكو أمنية زوجته من كوابيس أو مشاكل نفسية أبدًا، و أُغلق أخيرًا ملف القضية رقم ١١٣

الوحدة القاتلة



- لم أعد أريد الاختلاط بالناس.

هكذا كان رده حينما سألته عن سبب اعتكافه الغريب داخل مترله الذي أصبح يشبه المقابر.

- البشر ليس لديهم ما يقدموه لي بعد الآن.

كان ينظر إلى الفراغ الموجود بيننا،وكأنه يتحدث مع شخص أخر غيري.

تعجبت من كلامه وهو الذي كان من عدة سنوات أقرب إلينا من أي شخص بحكم علاقة القرابة التي تجمعنا.

كان ذلك قبل وفاة آخر فرد من العائلة جدتي،و التي كان هذا المترل مفتوحًا كما يقولون "بحسها"،نعم طوال حياتها كان المترل مفتوحًا،و مرتبًا، و نظيفًا، ويشع بالحياة، رُغم كبر سنها،و مرضها.. إلا أن المترل كان عامرًا بالحياة.

و الآن.. بعد عدة سنوات من وفاتها، تحول المترل الواسع المريح الجميل إلى ما يشبه المقبرة. التراب غطى كل شيءو ليس فقط التراب،بل هناك في الجو شيء ما..شيء ما غير مريح بالمرة، شيء ما يدفعنا إلى عدم التواجد لفترة طويلة بالمترل. كنا نعتقد أن وفاة الجدة الحبيبة هو السبب. لكن تكرار ذلك الحلم الذي كان يراودني في كل مره أفكر فيها مجرد تفكير في الذهاب إلى هناك، كان يقلقني كثيرًا.

كنت أرى نفسي أقف في حديقة المترل وأختبئ من مجموعة من الكلاب خلف براميل مرصوصة،وكان الوقت ليلًا،والظلام يكاد يُغطي كل شيء، وكان الخوف يتملكني حتى أكاد لا أستطيع التنفس،ثم فجأة أجد إلى جواري شخص ما،أو بالأحرى شيء ما يهددني بأن يصدر ضوضاء تجذب تلك الكلاب إلينا،و أحاول بكل الطرق استعطافه كيلا يصدر صوتًا عسى تلك الكلاب ألا تراني،لكنه في النهاية يتحرك بعنف فيجذب انتباه الكلاب إلينا،و يزداد الخوف حتى أكاد أتجمد أثناء الحلم، و أحاول الصراخ، أو الهرب.. لكني لا أستطيع وأصحو من نومي على أن الكلاب تقترب مني بسرعة،و هي تركض نحوي، و أنا مشلولة لا أستطيع الحركة أو الهرب منها.

كان ذلك الحلم يسيطر علي تفكيري كلما عزمت علي زيارة المترل،و زيارة ذلك القريب العجوز الوحيد.

بعد ذلك بدأ يرفض دخولنا إلى المترل بحجة أن المترل غير مرتب، ولا يريد لنا أن نراه علي هذه الصورة.

كنا في البداية ندخل لنعد الشاي لنا وله، أو لمجرد اجترار الذكريات السعيدة،أوحتى لتفقد المتعلقات الثمينة الأثرية الموجودة بالمترل..لكن بعد فترة رفض رفضًا تامًا مجرد دخولنا إلى هناك،واكتفى بأن يقابلنا في الشرفة الواسعة المطلة علي حديقة المترل،و التي كان يضع فيها الكراسي كلما أحس بأننا على وشك القدوم إليه.

في ذلك اليوم أخذ يسألني: هل تصدقين أن هناك شخص ما ينام،ويصحو ليجد الطعام معدًا،وكل ما يريد موجود من مأكل،و مشرب، دون أن يكون هناك أحد في المترل نهائيًا؟

كنت صغيرة في السن وقتها و أردت أن أستعرض فلسفتي الجديدة في فهم الأمور فقلت له:بالطبع لا..كيف يكون هناك شيء مثل هذا في الحياة؟! ومن يفعل ذلك لهذا الشخص؟ كل شيء لابد و أن يكون له سبب،وكل فعل لابد له من فاعل،إذا كانت السيدة مريم في أقصى أوقاتها التي كانت تمر بها أثناء الولادة أمرها الله سبحانه وتعالى بان تهز إليها جزع النخلة ليتساقط عليها الرطب.لو كان ما تقوله صحيحًا لكان أولى أن يحدث مع السيدة مريم في ذلك الوقت،لكن الله سبحانه و تعالى أراد أن يكون هناك مسبب للفعل حتى يتساقط عليها الرطب.

لاقى كلامي استحسان كل من بالمكان، ربما لأنهم كانوا في مثل عمري تقريبًا ذلك العمر الذي لم نؤمن فيه بأي شيء لا نراه باستثناء الخالق.

أو ربما لأننا كنا في نهاية القرن العشرين حيث كنا نظن أن العلم قد اكتشف كل شيء،وحل معظم المشاكل الغامضة،أو ربما لنغيظ العجوز الوحيد،و نسفه أقواله كما سمحنا لأنفسنا أن نسفه وحدته.

سألنا سؤال أخر:هل تصدقون أن هناك من ينام ويصحو ليجد أسفل وسادته كل ما يريد من مال؟

قلت بنفس الحدة :كيف هذا؟! ومن أين يأتي هذا المال؟! هل تمطر السماء مالًا هذه الأيام؟!

نظر لي طويلًا، كان كمن يحمل في صدره سرًا خطيرًا، لكنه يستمتع بكونه الوحيد الذي يحمل هذا السر،لم يعلق على كلامي بل نهض بخفة ليصنع لنا الشاي،لحقته إلى المطبخ بدون إذن منه، كان يبتسم، وهو يحاول إشعال "وابور" الجاز بعد أن تلف البوتاجاز،و لم يكلف نفسه بأن يأتي بأحد يصلحه، شيء ما كان غير مريح بالمرة في أثناء ذهابي إليه،و عندما وصلت إليه، شعرت به يرتبك عندما لاحظ أنني قد شاهدت ابتسامته الغامضة،أخذت أتحدث إليه في أي شيء وعيناي تدوران في المكان، أتفقده كأني أرسمه،وفجأة.. شعرت بعدم الراحة،وكأنما شعر هو أيضا بهذا الشعور الغامض بعدم الراحة، فأسرع بي إلى الخارج بعد أن وضع الشاي في الأكواب..لكني طلبت منه دخول الحمام،كنت أريد أن اختلي بنفسي في المكان بدونه لبضع لحظات. فقد كنت في السن التي أسعي فيها للمغامرة وأردت أن أتجول وحدي في الأماكن التي حُرِّمت عليّ منذ فترة.

لم تختفي ابتسامته و أخذ الشاي إلى الخارج،و هو يطلب مني عدم التأخير حتى لا يبرد الشاي.

في الممر الواسع الذي يفصل المطبخ عن الحمام ويحتوي على حوض لغسل الأيدي، وقفت أرقبه حتى خرج فدخلت مره

أُخرى إلى المطبخ،الذي كانت رائحته سيئة جدًا،وكان الحوض الموجود به ملئ بالأطباق غير المغسولة، والتي تغيرت رائحتها لطول فترة ركودها هناك في المياه.

أخذت أفتح بعض الأدراج بسرعة لأري ما بداخلها،لكني شعرت فجأة بحركة خلفي فالتفت بسرعة لأجد بعض الستائر البالية تتحرك دون أن يكون هناك أي مصدر للهواء،لم أشعر بأن ذلك غير عادي،ولم يزعجني ذلك أبدًا،و استمرت يدي تعبث بالأدراج،و أعترف أنني حتى الآن في أحلامي مازالت يدي تفتح هذه الأدراج،ولكن في كل مرة أجد شيئًا مختلف،فقد كانت تلك أكبر مغامرة أقوم بها في ذلك الوقت و فجأة سقط أحد الأطباق من فوق المنضدة خلفي،مُحدثًا صوتًا عاليًا أفزعني بشدة لكنه لم ينكسر.أرجعت الأمر بالطبع إلى وضع الطبق بطريقة غير آمنة فوق المنضدة،و أكملت البحث.

لم أجد بالطبع شيئًا يستحق كل هذه الحماسة فخرجت من المطبخ إلى الطرقة لأجده عائدًا يبحث عني فذهبت إلى الحوض،و وقفت أمامه كأني أغسل يدي، وعندما نظرت إلى المرآة فوق الحوض وجدت بخارًا أبيض اللون يتكاثف ببطء علي سطح المرآة،و عندما نظرت إلى وجهه لأحاول أن افهم لماذا يتكاثف البخار فوق المرآة لاحظت ملامح وجهه التي بان

عليها الفزع، مما أوحي لي بأن الأفضل ألا أسأل عن أي شيء في تلك اللحظة،ثم فوجئت به يمسكني من ذراعي ويأخذني بهدوء، وحسم إلى الخارج،و هو يقول: هيا لتشربي الشاي قبل أن يبرد.

بعد تلك الليلة قررت أنا،و الشباب المتهور لعائلتي أن نقوم بمغامرة أُخرى في باقي المترل،على أن يقوم بعض منا بشغله في أي موضوع وأقوم أنا بمعاونة شخص آخر بالتجول في باقي المكان،خاصة حجرة نومه التي كانت تعد وقتها من الأسرار و الأماكن المُحَرَّمة.

بعد عدة أيام ذهبنا لزيارته مرة أُخرى،وجلسنا في الشرفة مرة أخرى،و طلبنا منه إعداد الشاي، ثم دخل اثنين من الشباب معه إلى المطبخ،بينما تسللت أنا،و أحد الأقارب إلى المترل بدون أن نصدر أي صوت.

دخلنا غرفة المكتب المغلقة،و أخذنا نفتش في أغراضها المهملة،كانت كمية التراب الموجودة على الكتب توحي بأنها مغلقة منذ فترة طويلة جدًا لدرجة أن عناوين الكتب لم تكن واضحة من التراب.

لم يكن فيها ما يستحق الرؤية فخرجنا سريعًا إلى الغرفة المقابلة،وكانت غرفة نومه،فتحناها بأقل قدر ممكن من الضوضاء،و عندما حاولنا دخولها، وجدناه يأتي إلينا بسرعة من المطبخ صارخًا بألا ندخل تلك الحجرة.

كيف عرف بأننا علي وشك دخولها؟! لم نعرف بالطبع و لم نجرؤ علي السؤال خاصة بعد التوتر الشديد الذي لاحظناه علي وجهه،وأعترف أننا خفنا،ليس منه بالطبع فهو كان أطيب وأرق من أن يتعرض لأحد منا بأي سوء.. لكننا خفنا من أن يرفض استقبالنا مره أُخرى كما رفض استقبال أي من الأقارب قبل ذلك.

لهذا اعتذرنا، وبررنا موقفنا بالشوق إلى ذكرياتنا الجميلة الماضية. خرجنا من عنده على وعد بزيارة أُخرى قريبة.

بالطبع كنا نعرف أنه لا يأكل، ولا يشرب من يد أي شخص.و لم يكن يوافق على أكل حتى الفاكهة التي كنا نأتي بها إليه في بداية زياراتنا إليه، وكنا دائما نرجع بها إلى بيوتنا.

لم يكن مع أحد منا مفاتيح المنزل،ولا حتى الكبار في العائلة،و لم يكن أحد يجرؤ على الدخول هناك بدون علمه،فهو كان سريع الغضب فيما يتعلق بهذا المنزل.

في الزيارة التالية طبقنا عليه استراتيجيه جديدة، فأكثرنا في الإلحاح عليه بدخول حجرته لنرى ما بها من أثاث،و نتذكر ما بها من ذكريات،و بالطبع فقد كانت حيلة طفولية جدًا، لكنه كان أطيب من أن يرفض هذا المطلب الطفولي لنا.

دخل قبلنا بحجة أنه يريد تنظيف ما يمكن تنظيفه قبل دخولنا، وبعد دقائق قضاها بالداخل خرج إلينا مبتسمًا،و فتح

لنا -أخيرًا- القلعة الحصينة التي كنا نتمنى رؤيتها منذ فترة طويلة..

كانت الغرفة معتمة تمامًا، تمتلئ بالكتب أيضًا مثل كل غرف المترل، لاحظت على الفور تواريخ تلك الكتب الموجودة فوق الفراش، كانت كلها صادرة في ذلك الشهر تقريبًا، كما لاحظت وجود كراسات تحمل خطه الصغير المنمق مع الكتب،مددت يدي التقط أقرب الكتب لي،وسألته عنها فقال:كلها صادرة هذا الشهر، أنا أخرج شهريًّا لشراء الكتب الجديدة التي تصدر، و أقرأها ثم أُلخصها في كراسات صغيرة وأحيانًا أشتري الكتب المختلفة التي تتحدث عن موضوع واحد، و أُلخصهم جميعًا في كراسة، أو كشكول يتضمن كل الآراء المنشورة في هذا الموضوع،وأستعين أيضًا بقراءاتي السابقة عن الموضوع،و بهذا يكون لدي دراسة موسعة عن هذا الموضوع.

أعجبتني الفكرة جدًا..دراسة موسعة عن أي موضوع من مجموعة كتب منشورة،و قراءات سابقة؟ يا له من عبقري مجهول!

سألته: و أين تذهب هذه الملخصات أو الدراسات؟

قال:أرسلها إلى أحد دور النشر التي نشرت عن هذا الموضوع.

قلت: ترسلها دون أن تتقاضى عن ذلك أجرًا؟!دون أن تعرف ماذا سيفعلون بها؟!ربما ينشروها مرة أُخرى بتوسع ويضعون اسم أي شخص عليها.

ابتسم لي وقال :لا يهم، المهم أن أقوم بتلك الدراسة التي أتمتع بها.

نظرت له باستغراب،وكأني أراه للمرة الأولى بذقنه البيضاء،ورأسه التي تكاد تخلو من الشعر،ونظارته العتيقة،و"البايب" الذي لم يكن يفارق شفتيه.

كنت أحاول شغله بالكلام،و الكتب حتى يتسنى لأحد الشباب سرقه أي شيء يمكن أن يكون له قيمة تاريخية نحتفظ به في بيوتنا،و يكون تذكارًا من المترل الذي عشنا فيه أجمل أيام طفولتنا.

أخذنا الحديث حتى نسيت تمامًا ما اتفقنا عليه،وبعد خروجنا من المترل وجدت أحد الشباب يعطيني كتابًا صغيرًا يتحدث عن حياة الجن المتداخلة مع الإنسان.

أخذت الكتاب إلى المترل و قرأته، لكني لم أفهم منه شيئًا في ذلك الوقت فقد كان يمثل كل ما أرفض من أفكار،و معاني.. كيف يعيش الجن مع الإنسان في مكان واحد، و يكون هناك تكافل، و تعاون بينهما؟!

أخذتني الحياة بين فكيها، مضغتني،ثم لفظتني مثل كل الناس،و أفقت فجأة على أنه قد مات!

كان ذلك في ليلة لم تكن تتميز عن أي ليلة أُخرى بأي شيء سوى بأنها الليلة التي عرفنا فيها بموته.

جلست أذكر آخر مرة زرته فيها منذ سنوات بعيدة،ووعدي له بأن أزوره مرة أُخرى قريبًا لكني نسيت.. ببساطة نسيت، نسيته تمامًا في زحام حياتي التي كنت ابنيها كما نسيه كل الشباب الذين كانوا يجدون سعادتهم في التطفل على حياته،و منزله،و أسراره.. بين الحزن الدفين الذي كنت أشعر به،وتأنيب الضمير أخذ هناك بداخلي صوت مزعج يقول لي بأن الآن المكان أصبح مفتوحًا،و لم يعد هناك أسرار،و لم يعد هناك من يمنعك عن التجول بحرية،و استكشاف ما تريدين اكتشافه .. هناك في المنزل المهجور.

بعد أن تم تجهيزه للدفن.دخلت إليه،وهو نائم فوق المنضدة،ملفوفًا بالقماش الأبيض مُغطى تمامًا،لا يظهر منه أي شيء.. سلمت عليه،و وقفت إلى جواره،لا أجد الكلمات المناسبة أقولها له..لم أدرِ هل أعتذر عن تطفلي المستمر علي حياته؟ أم عن عدم زيارتي له مرة أُخرى ظنًا مني أن في العمر بقية؟ أم أبكي وفاته التي لم تكن بالطبع مفاجأة لأحد فقد كان كهلًا.

لم أستطع أن أفعل أي شيء،فقط وقفت إلى جواره،أنا التي كنت أحبه أكثر من أي قريب آخر،وكنت قريبة له في فترة من فترات حياته.

بعد أن أخذوه إلى الدفن، تعمدت أن أبقى لأدخل إلى المترل أخيرًا بدون أي رقابة.

عندما فتحت باب المترل هالني ما رأيت، أكوام من الكتب المغطاة بالتراب،و رائحة الجو الخانقة،و ذلك الشعور الغامض بعدم الأمان،والخوف.

خطوت خطوة إلى الداخل ففوجئت بشيء يتحطم إلى جواري تماما، نظرت برعب لأجد مزهرية صغيرة للغاية وقعت على الأرض،وتحطمت... لم أكن أدري ما السبب في وقوعها شعرت بالفزع بالطبع، لكن لم يكن هناك ما يمكن أن يُخرجني من هذا المكان الآن، ليس بعد أن أصبح خاليًا من أي شخص.

دلفت إلى الداخل،ومع كل خطوة كنت أشعر بمن يراقبني.. حتى أنني شعرت في لحظة من اللحظات بأن هناك أنفاسا تمر علي وجهي.

دخلت إلى الغرفة الممنوعة بين أكوام من القمامة لأجد كل الكتب المرصوصة فوق فراشه تتحدث عن علاقة الجن بالإنسان،وكيفية تحضير الجن وكيفية صرفه،و تسخيره، وكيفية

التخلص منه، في الغرفة المجاورة،و مع كل خطوة أخطوها كنت أسمع همهمات،و أصوات متداخلة لم أفهم منها أي شيء،و في البهو الذي يفصل بين المطبخ،و الحمام،و على مرآة الحمام.. كان بخار الماء يتكاثف بسرعة كبيرة مثل المرة السابقة،وقفت أراقبه هذه المرة لأري ما الذي يحدث،وجدت فجأة كلامًا يُكتب فوق بخار الماء،كلامًا يبدو أنه موجه لي أنا،كان هناك حروف واضحة تحمل رسالة من كلمة واحدة فقط " أنت ".

كانت الكلمة تُكتب، و تُمحي بسرعة كبيرة جدًا، ثم تعود لتُكتب، وتُمحي بسرعة.

عند هذا الحد كتمت صرخة رعب في حلقي،و خرجت إلى الشارع بسرعة.

جلست أمام المنزل التقط أنفاسي،و أنا أُحاول أن أفهم ما حدث، لكن أعترف أن كل الكلام المنطقي في عقلي لم يُجدي نفعًا. ظللت جالسة على كرسي أمام المنزل حتى عاد الجميع من مراسم الدفن، ثم عاد كل منا إلى منزله.

و في تلك الليلة رأيت في نومي كل شيء..نفس المنظر الذي حدث اليوم،و أنا أدخل إلى المنزل لكن مع كل خطوة كان هناك مئات الأشخاص يقفون في المكان، أحدهم أراد أن ينذرني، و يحذرني من الدخول فأوقع المزهرية الصغيرة،و آخر اقترب مني حتى شعرت بأنفاسه على وجهي،والباقين اكتفوا بمراقبتي لرؤية ما الذي أريده فعلًا من المكان.

و عندما نظرت إلى المرآة، كان هناك من يرقبني ليكتب لي تلك الرسالة التي أفزعتني،عرفت من خلال الحلم أنهم كانوا يريدونني أيضًا لكني هربت.

أما المكان.. فقد تم تأجيره ليكون أحد مجمعات الدروس الخصوصية لكنه لم يلبث أن أُغلق لوجود أشياء غير طبيعية تحدث فيه.



فتاة المقابر



حدثت هذه القصة في مدينة "بلبيس"، منذ زمن ليس ببعيد.

كانت ليلة شتوية باردة، وكان الشيخ صابر عائدًا من صلاة العشاء مثل كل ليلة، وفي الطريق إلى مترله كان يمر علي مقابر المدينة،والتي كانت وقتها تقع خارجها،و تعتبر بعيدة عن العمران بعض الشيء.

أثناء عودته في تلك الليلة سمع صوت فتاة تبكي.. اقترب قليلًا من الصوت،لكنه لم يجد شيئًا.. دخل قليلًا إلى المقابر ليجد فتاة، شابة،في منتصف العشرينات، تجلس وحدها خلف إحدى المقابر.. تبكي وكأنها تنعي حبيبًا قد مات لها.

عندما تبين ملامحها في ضوء القمر اكتشف أنها ترتدي قميصًا للنوم،عاري الصدر، وكانت ترتعد من البرد.

رفعت رأسها إليه، فرأى الدموع تتسابق من عينيها.. اقترب منها بحذر وقال: ماذا تفعلين هنا يا ابنتي؟!

نظرت إليه في حزن وقالت:لا أعرف،كنت نائمة في فراشي، وعندما صحوت وجدت نفسي هنا.

قال: هل أنت من "بلبيس"؟

قالت: نعم.

قال: و أين مترلك؟

وصفت له الفتاة مكان مترلها، وعرف منها أنها تسكن في مترل من دورين الدور، الأول يعيش فيه والديها،والثاني تعيش فيه مع زوجها الذي تزوجته منذ بضعة أشهر فقط.

خلع الشيخ صابر معطفه الدافئ وأعطاه للفتاة،وقال لها:تعالي يا ابنتي.. سوف أذهب معك إلى مترلك.. الله وحده يعلم لهفة أهلك عليك الآن.

قامت الفتاة معه،و ارتدت المعطف،و سارا معًا،و في الطريق سألها عن اسمها فقالت أن اسمها منيرة.

سألها: ألا تذكرين أي شيء مما حدث لك؟

قالت: لا، كنت نائمة في فراشي، وكان زوجي في الخارج،ثم سمعت صوتًا خافتًا يأتي من صالة المترل فشعرت بالخوف الشديد،ولا أذكر بعدها.. هل قمت لأرى مصدر هذا الصوت أم أن النعاس غلبني؟

تبادلا الحديث حتى يبث الطمأنينة في قلبها طوال الطريق الطويل،الذي كان يفصلهما عن مترل منيرة،حتى وصلا إلى هناك و أمام باب المترل وقف وقال لها: تفضلي يا ابنتي.

قالت:تفضل معي يا شيخ حتى يشكرك والداي على معروفك.

قال: لا يا ابنتي الوقت متأخر، و أخشى أن أجرح حرمه المترل. ادخلي و سأنتظرك هُنا حتى أتأكد من دخولك سالمة.. فقط أضيئي نور السلم لأعرف أنك وصلتِ إلى أهلك.

قالت له:لا أجد كلمات أشكرك بها علي معروفك و سأرسل لك زوجي بالمعطف حالًا، فالجو بارد جدًا، و أمامك طريق طويل و أنت عائد إلى مترلك.

دخلت منيرة إلى المترل في الظلام، و وقف ينتظرها؛ ليطمئن عليها، لكن نور السلم لم يضاء،ولا خرج زوجها إليه بالمعطف.. شعر بالقلق .. فربما وقعت الفتاة مغشيًا عليها من شدة إعياء الطريق، و الأحداث الغريبة التي مرت بها...

دخل الشيخ صابر إلى الدور الأول،ورن جرس الباب،بعد فترة فتح الباب رجل في الخمسين من عمره.. نظر إليه نظرة شك، وقال له:من تريد؟

قال الشيخ صابر: أريد ابنتك التي دخلت منذ فترة إلى هُنا.

بهت الرجل، و نظر إليه بذهول، وقال: هل أنت مجنون؟ تريد ابنتي؟ من هي ابنتي التي تريدها؟

رد الشيخ صابر: أريد ابنتك منيرة التي أوصلتها بنفسي منذ دقائق إلى الباب الخارجي لمترلك.

سقط الرجل علي أقرب كرسي من الباب، وهو يتصبب عرقًا.

خرجت الأم من داخل إحدى الحجرات القريبة بعد أن سمعت بهذا الحوار وصرخت: من أنت؟ وماذا تريد منا؟

رد الشيخ: أنا فقط أريد الاطمئنان على منيرة.

رد الرجل بصوت واهن:منيرة؟ منيرة ماتت منذ ثلاثة أشهر.. قتلها زوجها بعد أن ضبطته يحاول سرقة مصوغاتها.

في الليلة التالية، و عند عودة الشيخ صابر من صلاة العشاء في الجامع.. مر علي المقابر و في ضوء القمر وجد معطفه معلقًا علي القبر الذي وجد عنده الفتاة في الليلة السابقة،وعندما اقترب منه ليأخذه.. اكتشف أن المقبرة مكتوب فوقها: منيرة.

الجد



صحا الصغير أحمد ذو السنوات الثلاث من نومه مفزوعًا،للمرة العاشرة تلك الليلة، ليسأل عن جده خائفًا.

هدهدته أمه للمرة العاشرة،وقالت له أن جده الآن عند الله،يعيش في السماء، وينظر إليه في كل لحظة، ولن ينساه أبدًا.

كان أحمد،وجده متقاربين،خاصة في الفترة الأخيرة التي مرض فيها الجد،والتي لم تتعدي الخمسة عشر يومًا وحينما فارق الحياة،كان أحمد إلي جواره،حيث اعتاد في تلك الليالي أن يتسلل من فراشه ويأخذ معه وسادته المفضلة لينام إلي جوار جده في الفراش، أو حتى علي الأرض.

-صدمه وفاة جده، أثرت عليه، يجب التخفيف عنه، قدر المستطاع.

هكذا أشار عليها الطبيب،بعد أن كاد الطفل يصاب بالانهيار، كل ليلة عندما يصحو سائلًا عن جده المتوفى.

-لقد آن الأوان يا حبيبتي لنقبل العمل الجديد الذي كنا نرفضه لنرعى والدي.

-ولكننا سننتقل من المدينة، وسيكون علينا التعرف علي أصدقاء جدد.

-أعتقد أن هذا أفضل لأحمد، ربما إذا انتقلنا من المنزل المليء بذكرياته مع جده، تحسنت حالته النفسية بعض الشيء.

هكذا انتقلت العائلة الصغيرة إلي مدينة أخرى، ومترل آخر،ليعيشوا ذكريات جديدة،لا يوجد فيها الجد المتوفى حديثًا.

كان المترل الجديد مكونًا من صالة كبيرة جدًا،وأربع حجرات واسعة،وجناح خاص للمطبخ،والحمامين واحد للاستحمام فقط،والآخر دورة للمياه..مساحة واسعة جدًا كونت جناح المطبخ،والحمام حتى أنها كانت تكفي لشقة صغيرة من حجرتين، وصالة.

كان المترل قديمًا، ذو سقف عال،وأبواب، وشبابيك عالية، ولم تفلح رائحة الدهان الحديث أن تخفي رائحة قدم عمر المبني..لم يكفي أثاث الأسرة المكون من حجرتين نوم وسفرة،وصالون كل حجرات المترل لهذا أغلق الأب إحدى الغرف تماما،حتى يشتري فيها حجرة مكتب،ومكتبة؛لتتسع للكتب التي كان ينوي دائمًا شرائها.

بعد عدة ليال تحسنت الحالة النفسية للطفل كثيرًا، فأصبح يلهو، ويجري، ويملئ المترل من جديد بالحياة، إلا أنه كان دائما يصر علي اللعب في الحجرة المغلقة،والتي كثيرًا ما كان يجلس بها وحده بالساعات.

في إحدى الليالي سمعته والدته يتحدث بلغته الجميلة،الغير مفهومة،وكانت مشغولة في أعمال المترل،فاقتربت من الحجرة،وأصغت السمع، وقد اعتقدت أن والده ربما عاد مبكرًا من عمله، ويلهو معه،لكنها لم تستطع تمييز أي من

كلماته،سوي كلمة واحدة فقط، جعلت جسمها يقشعر من الرعب "جدووووو"...

قالها **تمامًا** كما كان يقولها لجده حينما يفاجئه بشيء يسعده.

أسرعت إلي باب الحجرة الذي لم يكن مفتوحًا ولا مغلقًا فدفعته بسرعة لتجد ابتسامة كبيرة علي وجه طفلها، وهو يشير إلي جزء من الحجرة، ويقول لها " جدوووو "...

لمحت الأم بطرف عينها شكلًا بلا ملامح، لكنها حين نظرت لم تجد شيئًا!

بعد تلك الحادثة، أصبح الطفل يتسلل كل ليلة تقريبًا،ومعه وسادته المفضلة إلي الحجرة المغلقة؛ لينام بها علي الأرض.

-لقد أغلقتها بالمفتاح الليلة الماضية، فكيف استطاع دخولها مر أخرى؟!

-لا أعرف، ربما لم تغلقها بالمفتاح.

-حتى لو لم تكن مغلقة بالمفتاح، أنا واثق أنني أغلقتها جيدًا،والباب صعب الفتح علي أحمد، فكيف فتحها،و دخلها؟

لم يكن أحد منهما يفهم، فقررا الانتظار حتى الليل؛ليتبعا خطوات الطفل، ويعرفا كيف يتمكن طفل في الثالثة من العمر من فتح باب أطول منه بعدة مرات.

في تلك الليلة سمعا صوت أحمد يضحك في حجرته،فأسرعا إليه ليجداه يُمسك بيده "بايب" بني اللون،ويبدو عليه القدم،والمفاجأة أن "البايب" كان معدًا للتدخين، ومعبأ بالتبغ!

كانت المفاجأة مذهلة نظرًا لأن الأب لم يكن مدخنًا،ولم يكن هناك أي وجود لهذا "البايب" من قبل.

بعد ذلك تكررت الأحداث الغريبة في المترل،حيث صحت الأسرة ذات يوم علي قط أليف،ضخم،يتمسح بالباب،ولما فتحت الأم الباب،دخل القط مسرعًا إلي الحجرة المغلقة،والتي كانت مفتوحة بالصدفة للتهوية وما لبث أن تصادق مع أحمد،ورفض الأخير خروجه من المترل، فاضطر الأب إلي أخذه إلي طبيب بيطري، للكشف عليه، ومن ثم أعاده لينضم إلي الأسرة من جديد.

بعد حوالي شهر،جاء صاحب المترل الأصلي ليزور الأسرة،ويتفقد أحوالهم، لكنه ما أن جلس في الصالون حتى فوجئ بالقط الكبير،فصاح بخوف: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

ثم توجه بكلامه إلي الأب وسأله:ما الذي جاء بهذا القط هنا مرة أخرى؟

رد الأب: هل تعرف هذا القط؟!

قال الرجل:نعم كان هذا القط مملوكًا لمن سكن هذه الشقة قبلكما.

سأله الأب: ولماذا لم يأخذه معه حينما أنتقل منها؟

رد الرجل: أنه لم ينتقل منها لقد توفى هنا قبل حضوركم بشهر واحد.

لم يستطع الأب تفسير الصدمة،ولا القشعريرة التي أصابته عند سماع هذه الكلمات.. حاول أن يستجمع شجاعته ويسأله عن الرجل المتوفى.

قال: لقد كان رجلًا غريبًا نوعًا ما، وحيد ليس له أهل، ولا أصدقاء. لم يكن أحد يسأل عنه سوي نادرًا، وكأن لا يخرج من المنزل إلا مرة واحدة،كل ثلاثة أشهر،ليستلم معاشه،ويشتري كل ما يلزمه من طعام،وغيره،ويعود ليظل حبيس المنزل، ثلاثة أشهر أخرى.. لم نكن نسمع له صوتًا، ولم يكن يضيء النور كثيرًا.. لم يكن لديه أي وسيلة من وسائل الترفية،سوي بعض الكتب التي كان يشتريها باستمرار،وهكذا..حينما توفى لم يعرف أحد بوفاته سوي بعد ثلاثة أشهر،حينما جاء مندوب من المعاشات ليسلمه معاشه،فلم يجده، فاتصلنا بأهله الذين جاءوا،وكسروا باب الشقة، فوجدوه في الغرفة المغلقة،والتي كانت حجرة نومه طوال الوقت. لم يكن باقي منه بالطبع سوي هيكله العظمي،وقطه الأليف، الذي كان يعيش معه في الفترة الأخيرة.

سأله الأب: كم كان عمر هذا الشخص؟

رد المالك:كان عجوزًا، في أواخر السبعينات:لكنه لم يتزوج أبدًا، و لم يكن له سوي بعض أبناء الإخوة يعتنون به أحيانًا.

سأله الأب: هل هناك صفات مميزة لهذا الشخص؟

رد الرجل: كانت أكثر سماته تميزًا تدخينه "للبايب".

صُعق الأب تمامًا عند هذه الجملة، ورغم أنه لم يكن يصدق بوجود أشباح، إلا أنه كان يخشي من رد فعل زوجته إذا ما سمعت هذا الكلام .

في اليوم التالي قال لها أنه سوف يبحث عن منزل آخر؛ لأن المنزل كبير جدًا على ثلاثتهم.

في صباح اليوم التالي اختفي أحمد تماما من المنزل،و أخذا يبحثان عنه في كل مكان، وعلي الرغم من أن باب المنزل كان مغلقًا من الداخل بالمفتاح،إلا أنهما بحثا بالحديقة الصغيرة الملحقة بالمنزل،فاكتشفا وجود أحمد تحت إحدى شجرات الجوافة هناك،يلهو ويبتسم بسعادة بالغة. لم يشغلا نفسيهما كثيرًا بكيفية خروج الصغير ذو الثلاث سنوات من منزل مغلق بابه بالمفتاح، لكنهما قررا الانتقال فورًا إلي أي مكان.

في تلك الليلة حينما باتا في فندق رخيص بعض الشيء،أخذت الأم أحمد بين ذراعيها،و أغمضت عينيها فلم

تلاحظ الابتسامة المرسومة علي شفتيه،وهو يشير بيده إلي
ركن الغرفة ويقول بصوت منخفض "جدووووو".

الفهـــــرس